أحمد منصور

جرائم أمريكا فى العراق



دار الشروق

جرائم أمريكا فى العراق

" أقتل !.. أقتل ! .. أقتل .. جرائم الحرب فى العراق " ذلك عنوان لكتاب أصدره الجندي الأمريكي السابق في قوات المارينز الأمريكية والذي خدم فى العراق ، جيمي ماسي ، ولأن ماسي لم يجد دارا للنشر فى الولايات المتحدة تقبل بنشر الكتاب الذي حوي كثيرا من الأعترافات بالجرائم التى يرتكبها الجنود الأمريكيون فى العراق فقد قام ماسي بنشر الكتاب عن دار " بناما " الفرنسية التى أعلنت عن صدروه في باريس في فى 13 أكتوبر تشرين الأول 2005 ، وقد أشارت الصحفية الفرنسية نتاشا سولينا التى تعمل كمحققة صحفية خاصة وتنشر مقالاتها فى صحف " ليبراسيون " وهومنتيه " الفرنسيتين ، وكذلك فى " الأيندبندنت " البريطانية والتى ساهمت فى صياغة الكتاب فى المؤتمر الصحفي الذي عقدته الدار للترويج لصدور الكتاب " أن الناشرين الأمريكيين خشوا من الأقتراب من الكتاب بسبب طبيعته الخلافية التى تهدد المصالح التجارية ، وتهدد صورة القوات التى تقاتل باسم الولايات المتحدة " أما ماسي الذي خدم فى صفوف المارينز اثني عشر عاما ، وكان يقوم بإلقاء محاضرات فى الولايات المتحدة من أجل حض الأمريكيين على التطوع فى المارينز حينما كان مجندا ، فقد أكد في حوار أجرته معه مجلة " لومانيته " الفرنسية ونقلته مجلة " المجتمع " الكويتية فى 3 ديسمبر 2005 عن سبب انقلابه رأسا علي عقب بعد مشاركته فى حرب العراق ، وقيامه بكتابة هذا الكتاب الذي وصف بأنه " الكتاب الصدمة " : " أردت أن ألفت أنظار العالم كله إلي فظاعة الجرائم المرتكبة ضد الشعب العراقي ، أردت أن أتصالح مع نفسي فقد بقيت فى العراق منذ بداية الحرب عام 2003 ، .. ذهبت إلي العراق بإحساس جندي ذاهب للقيام بواجب مساعدة العراقيين ، لكنني اكتشفت بشاعة الحرب حين رأيت بأم عيني طريقة القتل ضد الأبرياء ، وأننا هناك فى العراق للدفاع عن البترول " .

الكتاب حينما صدر نشرت عروض كثيرة له فى الصحف والمجلات المختلفة ، وأنا هنا سوف أعرض لبعض ماجاء فى الكتاب باختصار مما نشر فى مصادر مختلفة ، لأنه فى النهاية وثيقة واعتراف مباشر بجرائم الحرب التى شارك ميسي فى ارتكابها مع زملائه من الجنود الأمريكيين الآخرين ، فقد قام ميسي على حد قوله شخصيا ووحدته التى كان يقودها حسبما جاء فى الكتاب بقتل عشرات المدنيين الأبرياء وغير المسلحين فقط لشعورهم بأنهم مهددون من قبلهم : " لقد قتلنا ثلاثين مدنيا خلال ستة أسابيع لذلك شعرت أننا نقوم بعملية تطهير وإبادة للشعب العراقي .. المدنيون الجرجي كانوا يقذفون فى الشوارع وكنا نترك جثثهم بعد أن نقوم بنهبها ، لقد نسينا لماذا شننت هذه الحرب فى الواقع " .

وقد تحدث ميسي الذي كان قد أمضي اثني عشر عاما فى صفوف قوات المارينز بالتفصيل عن مهمته فى العراق وقال ميسي القادم من ولاية كارولينا : " لقد أرسلوني إلي الكويت فى السابع عشر من كانون الثاني يناير 2003 ، وكنت مطلعا على عملية الأجتياح ، العراقيون أدركوا فى البداية أن الضحايا جزء من الحرب ، ولكن مع مرور الوقت بدأت معاناتهم تزداد ، ولم نشاهد أي دعم إنساني ، قتلت أشخاصا أبرياء بسبب حكومتنا .. التعليمات التى تلقيناها جعلتنا نعتبر كل عابر سبيل إرهابيا محتملا ، هم أدخلونا فى حالة من الهستيريا " ، بدأ ماسي يتكلم ويثرثر وشعر أنه ـ حسب قوله ـ لم يعد قادرا على الأحتمال ، عرض عليه قائده أن ينقله إلي عمل مكتبي حتى يكمل السنوات السبع الباقية له فى المارينز و يحصل بعد ذلك على راتب تقاعدي ، لكنه قرر الأستقالة وغادر العراق فى مايو 2003 أي بعد فترة وجيزة من إعلان الرئيس الأمريكي بوش بأن " المهمة قد أنجزت " ، وحينما عاد للولايات المتحدة أخذ يتحدث عن الجرائم التى ارتكبتها ويرتكبها الجنود الأمريكيون فى العراق فسرح من المارينز فى ديسمبر 2003 ، وأصبح تعد تسريحه مصدر إزعاج كبير للمارينز حيث أخذ ماسي الذي كان يقوم بإلقاء المحاضرات فى أنحاء الولايات المتحدة حتى يحض الأمريكيين على التطوع فى المارينز يقوم بعمل مضاد حيث أصبح يجوب الولايات المتحدة لألقاء المحاضرات فى الكنائس والجامعات والمسيرات والمظاهرات ويتحدث عن جرائم الحرب التى يقوم بها الجنود الأمريكيون فى العراق ، ولم يترك ماسي منذ تقاعده مسيرة أو مظاهرة أو تجمع مناويء للحرب فى العراق إلا وشارك فيه ، حتى أنه شارك فى معسكر " كاسي " الذي أقامته سيندي شيهان والدة الجندي الأمريكي الذي قتل فى العراق كاسي شيهان أمام مزرعة الرئيس الأمريكي جورج بوش فى كلورادو فى أغسطس 2005 ووصف شيهان بأنها " امرأة غير عادية " ، وكان ماسي قد عاد إلي منزله فى مدينة " فبنسفيل " فى ولاية " كاروليناالشمالية " بعد تسريحه من المارينز وعكف على إعداد كتابه الذي اعتبره " تجربة ساعدتني على الشفاء ومكنتني من إغلاق فصول كثيرة والأجابة عن كثيرمن الأسئلة " .

يقول ماسي الذي كان مسئولا عن عن فصيل من المارينز يقوم على تشغيل رشاشات وصورايخ مضادة للدبابات خلال اجتياح بغداد فى اعترافات متناثرة فى الكتاب : " مهمتي كانت دخول بعض المناطق فى المدن وتأمين الطرقات ، كانت هناك أحداث كثيرة ، ولكن كان هناك حادث واحد دفعني فى الحقيقة إلي النقيض : شاهدنا سيارات عراقية تقل المدنيين ، حسب التقارير الأستخباراتية التى تسلمناها ، كانت السيارات مليئة بالقنابل والأنتحاريين ، كانت السيارات قادمة باتجاه حاجزنا ، قمنا بإطلاق طلقات تحذيرية ، لكن لم تبطي من سرعتها ، وعندئذ قمنا بإطلاق النارعلي السيارات وإشعالها وقتل من فيها ، أحد الأشخاص جاء نحوي وهو يصرخ لماذا قتلت أخي ؟ نحن مدنيون ولم نفعل أي شيء وليس معنا شيء ، شعرت وكأن طنا من الحجارة قد سقط فوق رأسي .. بعد ذلك فقط تبين لي أن ماحدث لم يكن سوي يوما عاديا نمطيا حيث كنا كل يوم نواصل قتل المدنيين ونلقي بجثثهم في المستنقعات ثم نواصل سيرنا كالمتعاد " .

ويواصل ماسي الأعتراف بالجرائم التى ارتكبها مع زملائه من الجنود الأمريكيين فى العراق قائلا : " كانت هناك مظاهرة قام بها مدنيون غير مسلحين ضد الوجود الأمريكي فى العراق ، وكان ذلك خارج بغداد بجوار معسكر للجيش الأمريكي ، كان المتظاهرون شبانا ولايحملون السلاح ، وعندما جئنا إلي المكان كانت هناك دبابة أمريكية ، متوقفة ' ولو رغب العراقيون في القيام بشيء لقاموا بتفجير الدبابة ، إلا أنهم لم يفعلوا أي شيء سوي أنهم كانوا يتظاهرون ويهتفون ، القيادة أصدرت أوامرها لنا بمراقبة المدنيين ، وأخبرونا أن الكثيرين منهم من الفدائيين والحرس الجمهوري وأنهم قد خلعوا ملابسهم الرسمية وارتدوا الملابس المدنية واخذوا ينفذون العمليات ضد الجنود الأمريكيين ، لذلك فأنا أعتقد أن الأوامر التى صدرت لنا بإطلاق النار على المتظاهرين جاءت من القيادة العليا فى الأدارة الأمريكية ، أطلقنا عليهم النار من بنادق إم 16 ومن الرشاشات الثقيلة ، أنا أشفقت على شاب واحد اختبأ خلف عمود حينما بدأنا بإطلاق النار ، صوبت سلاحي نحوه ، فرقع يديه عندئذ وبدأ بالركض من هناك ، أطلق الجميع عليه النار ، فبقيت نصف كف قدمه وراءه ، لكنه كان يركض وساقه مبتورة ، طلبت من الجميع أن يتوقف عن إطلاق النار ، لكن بعض الجنود كانوا يضحكون من المشهد " .

" جاءت شاحنة تتقدم نحونا بسرعة كبيرة ، أطلقنا النار عليها ، المسافر الذي كان بها قفز خارجا والنار مشتعلة فيه ، لكن السائق كان قد قتل ، بعد ذلك جاءت سيارة " تويوتا كورولا " أطلقنا النار علي من كان فيها فقتلنا السائق ، وكان هناك شخص آخر كان مصابا أيضا لكنه تمكن من الخروج رافعا يديه لكن أيضا أطلقنا عليه النار ، بعد ذلك جاء جندي من سرية " ليما " التى جاءت لاستلام الموقع منا وقال : لقد أطلقتم النار على شخص كان يرفع يديه ، لكنهم حينما تسلموا الموقع قاموا بإطلاق النار على سيارة كانت فيها امرأة وولداها فقتلوا جميعا " .

فى اليوم التالي وقف فصيلنا فى حاجز بجوار ستاد بغداد الرياضي ، وجاءت نحونا سيارة كيا سبكترا حمراء كانت تسير بسرعة حوالي 45 كيلوا مترا فى الساعة ، أطلقنا عليها طلقات تحذيرية لكنها واصلت تقدمنا نحونا فأطلقنا عليها النار بكل قوة ، توقفت الكيا أمامنا تماما ، كان بها أربعة من المدنيين ، كان ثلاثة منهم قد قتلوا على الفور أما الرابع فقد كان مدرجا فى دمائه لكنه مات قبل أن تصل سيارة الأسعاف " واعترف ميسي فى حوار أجرته معه صحيفة " الحياة " ونشرته فى 8 أكتوبر 2005 أنهم كثيرا ما كانوا يلقون الجرحي على قارعة الطريق ويتركوهم ينزفون حتى الموت ، وأعود إلي الرواية السابقة حيث يقول ميسي " في نفس اليوم " قتلنا ثلاثة مدنيين آخرين بنفس الطريقة ولنفس الأسباب ، قلت لقائدي هذا يوم سيء ، فقال لي : لا بل هذا يوم جيد " .

ويتحدث ميسي عن عمليات السلب التى يقوم بها الجنود الأمريكيون للعراقيين فيقول " العراقيون شاهدونا ونحن نقوم بسلب المقتولين طوال الوقت كنا نركل الجثث ونغرس السجائر فى أفواههم ، كما شاهدت سيارات عسكرية تسير فوق الجثث ، لقد كانت مهمتنا أن نقوم بتفتيش جيوب القتلي للبحث عن معلومات استخباراتية لكننا كنا نسرق طوال الوقت ، نسرق السلاسل الذهبية والساعات والمحافظ المليئة بالمال ، وقد قلت لقائدي إننا

نقوم بعملية إبادة عرقية ، فنعتني بـ "الضعيف " و" الجبان " وسرعان ما بدأت تلاحقني الشتائم بعدها وتصفني بـ " الخانع " " المستنكف ضميريا " ضعيف الشخصية " فيما حاول الأطباء العسكريون التأكيد علي أني علي أني " مصاب بصدمة نفسية تحول بيني وبين القيام بواجبي " ويضيف ميسي " لقد كانت الأوامر الآتية من الأدارة العليا واضحة وصارمة : إطلاق النار على كل من يتحرك ، والحال أن ذلك كان يعني إبادة الأطفال والنساء والشيوخ بغير ذنب ... " .

ميسي وصف فى كتابه وفي مقابلته مع مجلة " لومانيته " الفرنسية أن ماقام به الأمريكيون فى العراق لم يكن سوي جرائم حرب وقال : " إنه التعبير الذي يجب استعماله ، هي جرائم حرب ، لقد تلقينا تقريرا وصل من الأستخبارات العسكرية يقول : إن كل العراقيين إرهابيون ، حين اطلعنا على ذلك التقرير ، صار العديد منا فى حالة عصبية وتوتر ، فصاروا يطلقون النار علي كل من يتحرك ، إنها جرائم حرب ، لأن الذين قتلناهم لم يكن أحد منهم يحمل السلاح ، كان بعضهم من الشيوخ و الأطفال والنساء والمرضي والعاجزين عن الحركة ، لقد كانت إبادات جماعية حقيقة مروعة ضدهم .." وأكد ميسي علي أن الجنود الأمريكيين كانوا يستمتعون وهم يقومون بعمليات القتل بل كانوا يطلقون النكات الجنسية وهم يمارسون القتل ويضحكون .

هذه بعض الاعترافات التى أدلي بها الجندي جيمي ماسي وهي اعتراف واضح ببعض ما ارتكبته أمريكا وجنودها من جرائم حرب فى العراق لا ينفيها تعليق الميجور جبرئيل تشافين الناطقة باسم المارينز تعليقا على صدور الكتاب قائلة " لقد خضعت الأدعاءات بشأن القتل للتحقيق ، وقد تبين أنها غير صحيحة " إذن فلماذا لم يحاكم ماسي بأي تهمة بعد صدور الكتاب ، ولماذا هو يجوب الولايات المتحدة داخلها وخارجها وهو يتحدث عن مزيد من الجرائم وذلك فى محاولة لتحقيق حلمه الكبير الذي يقوم علي رغبته فى النوم ولو ليلة واحدة دون أن تنغص عليه كوابيس من قتلهم فى العراق أيامه ولياليه .

لكن اعترافات ماسي لم تكن الدليل الوحيد على أن جرائم القتل والسلب وا لنهب التى قام الجيش الأمريكي بارتكابها فى العراق كانت منهجية ، وبدأت من أول يوم لاحتلال العراق بل إن هناك عشرات التقارير التى نقلتها المصادر الأخبارية المختلفة والتى تؤكد أن ماسي لم يكن يروي سوي جانبا من الحقيقة .

جرائم القتل العمد

في 28 سبتمبر 2005 أعلن الجيش الأمريكي عما سماه فتح تحقيق حول صورة نشرت على مواقع كثيرة على الأنترنت تظهر عددا من الجنود قاموا بالتمثيل بجثث بعض القتلي العراقيين المشوهة ، حيث كانوا يقفون فوق الجثث التى كانت مفتوحة الأحشاء ، فى نفس الوقت أظهرت الصور أن الجنود كانوا يشاهدون صورا إباحية وهم يفعلون ذلك ، وقد فضح مقال نشر في موقع " أون لاين جورنالزم ريفيو " التابع لجامعة ساوث كاليفورنيا الموقع الذي ينشر تلك الصور ، وقد نقلت صحيفة " القدس العربي " في

عددها الصادر فى 29 سبتمبر 2005 عن ‘براهيم هوبر المتحدث باسم مجلس العلاقات الأسلامية الأمريكية قوله " إن تصرفات جنودنا مخجلة وهي تصرفات تجلب العار على الجيش "

وكان البريجادير نايجل إيلوين فوستر وهو ضابط بريطاني تعادل رتبته جنرالا بنجمة واحدة فى الجيش الأمريكي قد نشر مقالا في مجلة " مليتاري ريفيو " التى يصدرها الجيش الأمريكي أشارت إليه وكالة رويترز فى تقرير بثته فى 12 يناير 2006 ، تحدث فيه عن فترة خدمته مع القوات الأمريكية فى العراق فى الفترة من ديسمبر 2003 وحتى نوفمبر 2004 ، حيث انتقد أداء الجيش الأمريكي فى العراق وقال " إن الجيش الأمريكي في العراق أظهر افتقارا مدمرا للحساسية الثقافية في حين تم تضليله بتفاؤل غير واقعي واستعداد غير مسبق لاستخدام القوة القصوي " وأضاف " إنه على الرغم من أنهم كانوا ودودين ومراعين فى بعض الأوقات إلا أن افتقارهم للحساسيات الثقافية ارتقي عن غير عمد إلي ما يمكن اعتباره سلوكا عنصريا واضحا " وأشار فوستر فى مقاله إلي " التفاؤل المدمر للضباط الأمريكيين الذي بدا بعيدا تماما عن الواقع " وقد نقلت صحيفة " واشنطن بوست الأمريكية فى نفس اليوم فقرات من مقال فوستر وقد أثار المقال الذي اتهم فيه فوستر الجيش الأمريكي بشكل واضح بالجهل الثقافي والأدعاء بالمعصومية الأخلاقية والأدارة العقيمة والعنصرية ، ردود فعل حادة لدي الضباط الأمريكيين لاسيما وأنه نشر فى مجلة الجيش الأمريكي ، وجاء من ضابط كبير من البلد الحليف للولايات المتحدة فى حرب العراق .

ومن الجرائم البشعة التى كشف عنها هو قيام الضابط لويس ويلشوفر بقتل اللواء عبد الحميد موحوش الذي قبض عليه و اتهم من قبل القوات الأمريكية بأنه يقود المقاومة فى مدينة القائم ، حيث قام الضابط الأمريكي بتعذيب اللواء موحوش ووضعه في كيس للنوم وربطه بسلك كهربائي قبل أن يجلس على صدره أثناء استجوابه فى نوفمبر تشرين الثاني من العام 2003 مما أدي إلي اختناق اللواء موحوش ومقتله وقد حوكم الضابط ويلشوفر وهويعد أرفع ضابط أمريكي مسئول فى الجيش الأمريكي فى العراق يتهم فى جريمة قتل معتقل عراقي ، أمام محكمة عسكرية أمريكية فى فورت كارسون فى كلورادو ونشرت وكالة رويترز تقريرا فى 24 يناير عن محاكمته التى انتهت فقط إلي توجيه تأنيب رسمي ، لكنها لم تحكم بسجنه ، وطبيعة هذا الحكم تشير إلي نظرة الأمريكيين المبسطة للجرائم التى يرتكبونها فى العراق لاسيما وأن الحكم صدر عن هيئة محلفين .

ومن الجرائم البشعة التى شاهدها الملايين علي شاشة التلفزة التمثيل بجثة رئيس الوزراء العراقي الأسبق محمد حمزة الزبيدي بعد وفاته فى سجن كانت تديره القوات الأمريكية ، حيث نشرت الصور على شاشة " قناة العربية " فى 2 مايو أيار 2006 وتناقلتها وسائل الأعلام العالمية حيث شوهدت الجثة داخل كيس بلاستيكي أسود وقد غطتها الدماء

فيما تتعرض للتنكيل على يد شخصين يتحدثان باللهجة العراقية كان أحدهما يضع حذاءه على فم الزبيدي ووجه ويقول له الآخر : " دوس على حلقة بالكندرة " أي الحذاء ، وقد صدمت الصور كل المشاعر الأنسانية لدي كثير من الناس بغض النظر عن الكارهين لصدام ونظامه أو المتعاطفين ، فالنفس الأنسانية كرمها الله الذي كرم كل بني آدم حتى لو كانت نفس كافر ،وكان الزبيدي يحمل الرقم 9 فى قائمة المطلوبين التى أعلنتها السلطات الأمريكية بعد احتلالها للعراق والذي أعلن عن مقتله لم تكن السلطات الأمريكية وإنما كان برزان التكريتي الذي كان يحاكم مع صدام حسين وآخرين فيما سمي بقضية الدجيل وأعدم بعد ذلك ، وسرعان ما أعلن الأمريكان تنصلهم من التنكيل بالجثة والتمثيل بها واتهموا حكومة الجعفري ، لكن الزبيدي كان فى معتقل أمريكي ، وما يحدث فى العراق يحدث تحت غطاء احتلالهم لها وأبشع الجرائم بعد القتل هو التمثيل بالقتلي .

في عدد 13 أغسطس 2003 من صحيفة " الحياة " التى تصدر فى لندن أعد موفدها إلي بغداد إبراهيم خياط " تقريرا عن الأنتهاكات التى يقوم بها الجنود الأمريكيون ضد العراقيين دون رقيب وروي خلالها تفاصيل كثيرة عن عمليات القتل والسلب والنهب ومن القصص التى وردت فى التقرير قصة مؤنس منذر " 21 عاما " ، الذي يسكن مع عائلته فى حي الزيتونة الراقي في بغداد ، فى محلة 716 زقاق 8 والده لم يكن فى المنزل وقت وقوع الحادثة التى وقعت فى الثانية والنصف فجر الأحد ، 10 أغسطس 2003 ، يقول مؤنس : " دوي انفجار فقمنا مذعورين ، نزلت إلي صالة الأستقبال وأنا أتحسب من صوت تحطيم الزجاج ، كان فى خلدي أن هناك اشتباكا قرب منزلنا ، فجأة دوي انفجار آخر وتعالي الدخان ، انبطحت أرضا ، ناديت والدتي وشقيقي وزوجته لأتأكد أنهم أحياء ، وعندما تأكدت أنهم بخير ، ناديت أخي لينضم إلينا ، في هذه اللحظة دوي انفجار ثالث ، وسمعنا أصواتا كان من بينها صوت شخص ، عراقي يقول : إكسر وادخل ، فى البداية ظننا أنهم عصابة تهاجم منزلنا ، أخي كان يحتفظ بمسدس لحمايته ، وهو يعمل فى منظمة الهجرة التابعة للأمم المتحدة ، أطلق طلقة أو طلقتين تحذيريتين في الهواء ، وفجأة انفتحت علينا أبواب الجحيم ، وانهالت رمايات المدافع الرشاشة ، بكثافة ، صعدنا إلي سطح المنزل مع والدتي وزوجة شقيقي ، حيث شاهدنا طائرة هيلكوبتر أمريكية تحلق فوق السطح ، وأمامه سيارتا جيب هامر ، وسيارة فان نوافذها سوداء معتمة ، وهي عادة السيارة التى تستخدمها عناصر وحدات التدخل العسكرية التابعة لوكالة الأستخبارات المركزية الأمريكية " سي آي إيه " ، قفزنا إلي سطح الجيران ودخلنا إلي منزلهم ، سمعنا ونحن لدي الجيران ، ا نفجارين آخرين فى منزلنا ، نزلنا إلي الشارع محاولين الأستفسار من الجنود الأمريكيين بدعوي أننا من الجيران ولسنا أصحاب البيت ، ونريد أن نعرف ما يحدث ، فشهروا السلاح فى وجوهنا وهددونا بالأعتقال إذا لم نعد أدراجنا .

بعد نصف ساعة من اقتحام المنزل خرج الجنود ، وعدنا إلي منزلنا فراعنا الخراب الذي لحق بكل أثاثه المحطم ، كذلك سرق الجنود المقتحمون عشرين ألف دولار ، كانت

لوالدتي وشقيقي ، إضافة إلي حوالي كيلو جرام من المصوغات والحلي الذهبية ، وأجهزة عدة بينها أجهزة كمبيوتر شخصية ، اضطررنا إلي إخلاء المنزل والأنتقال للأقامة فى منزل آخر دون أن يكون فى وسعنا رفع شكوي لأحد أو الحصول على تفسير مقنع لما حدث لنا فى عتمة الليل من دون سابق إنذار أو تحذير بمكبرات الصوت ، ومطاردتنا بشكل أصابنا بالصدمة والترويع وزلزلة حياتنا "

هذه قصة من آلاف القصص التى حدثت لأهل العراق وتحدث لهم كل يوم من الجنود الأمريكيين الذين يخالفون كل الأعراف والقوانين الدولية ويمارسون جرائم الحرب بالليل والنهار غير أن ماجاء فى نفس التقرير عما تعرض له سكان مجمع العمارات فى حي الصحة فى منطقة الدورة فى بغداد كان أكثر ترويعا وإجراما ، فقد تعرض الجنود الأمريكيون لأطلاق نار قرب المنطقة من عصابة كانت تسرق السيارات بعد الساعة الحادية عشرة ليلا يوم العاشر من أغسطس ، وقد تمكن الجنود الأمريكيون من قتل بعض اللصوص إلا أن ثلاثة من جنودهم أصيبوا فقرروا الأنتقام من سكان مجمع العمارات ، فعادوا فى اليوم التالي وحاصروا مبنيين قريبين من موقع الحادث بدعوي أن النيران أطلقت عليهما من المبنيين ، وهددوا بطرد السكان وتفجير المبنيين إذا لم يتم تسليم مطلقي النار عليهم ، ولما كان الأمر ذريعة لتنفيذ ما أقدموا عليه ، فقاموا باعتقال امرأة من السكان زجوا بها في مكان محاط بالأسلاك الشائكة وأطلقوا عليها الكلاب الشرسة لأخافتها وحملها على الأعتراف لكنها كانت تصرخ بهستيريا ، وفي اليوم التالي أعادوها وقبضوا علي زوجها ، واعتقلوا شخصا من كل شقة من الشقق الستة عشر التى يضمها المبنيين ، بينهم كبار في السن ، وزجوا بهم فى المعتقل لحملهم على الأعتراف بهوية مطلقي النار الذين يؤكد السكان أنهم لاوجود لهم إلا في مخيلة الجنود الأمريكيين ".

وفي حادثة أخري كان أهل حي الصليخ فى بغداد في نفس اليوم يستقبلون التعازي فى ضحايا مجزرة قام بها الجنود الأمريكيون سقط فيها 17 قتيلا وجريحا من المدنيين حيث أطلق الجنود النار بهستيريا على السكان والسيارات العابرة أثناء حملة مداهمة للحي بحثا عن أسلحة ومسلحين ، فقاموا بقتل رب أسرة من آل الكوز مع طفله وابنتيه ، في حين قتل شاب يدعي علي حكمت سلمان ، وقتل أيضا سيف العزاوي وهو وحيد أهله مع أربع شقيقات ، وقال الشهود إن الجنود الأمريكيين أصابوه وهو عائد إلي المنزل فى سيارة تاكسي كانت تعتاش منها العائلة ، وتمكن رفاقه في السيارة من النجاة ، ولكنه حوصر فى السيارة التى بدأ الوقود يتسرب منها من جراء إطلاق النار ، واتهم السكان أحد الجنود الأمريكيين بأنه قام بإشعال النار من قداحته الشخصية فى الوقود المتسرب الذي اشتعل والتهم السيارة ، في وقت كان والده يسعي لأخراجه من السيارة لكنه منع من الأقتراب ، لفتح بابها وإنقاذ ابنه الذي قضي محترقا وهو يصرخ من الألم داخلها .

أما رفاقه الذين كانوا معه فى السيارة فقد أوسعهم الجنود ضربا وركلا ليتركوا علامات واضحة على قمصانهم التى تلطخت بدمائهم والتى تبدوا نعال أحذية الجنود واضحة عليها .

في 8 مارس 2004 نقلت الوكالات تقريرا عن قيام الجنود الأمريكيين أثناء عمليات التفتيش فى منطقة طور خرماتو التى تبعد 75 كيلو مترا عن كركوك بقتل أربعة أشخاص من عائلة واحدة هم رجل وزوجته وأحد أبنائه وأحد أقربائه وأصابوا طفلا آخر بجروح ، وأعلن القائد باسم فرقة المشاة الرابعة فى تكريت ـ كالعادة ـ أن الجيش الأمريكي يحقق فى الأمر .

وفي 23 مارس 2005 فجر بعض الجنود الأمريكيين فضيحة لأنفسهم حينما قام خمسة من جنود المارينز برفع دعوي قضائية ضد وكالة أسيوشيتدبرس للأنباء وعلي صحفي مقيم فى سان دييغو مدعين بأن الوكالة عرضت حياتهم للخطر حينما نشرت صورا لهم وهم يسئون معاملة بعض الأسري العراقيين الذين كانوا ملطخين بالدماء ومقيدين بالسلاسل ، وقال الصحفي فى وكالة أسيوشيتدبرس سيث هيتينا إن التاريخ الموجود على الصور يشير إلي أنها التقطت فى مايو أيار 2003 وأن زوجة أحدهم وضعت الصور علي شبكة الأنترنت ، وأن الوكالة نشرت الصور بشكل قانوني " ، وأن الجنود يريدون صرف الأنتباه عن تصرفاتهم الشائنة .

وفي قضية مشابهة نشرت كل من رويترز ووكالة الأنباء الفرنسية تقريرا فى 29 سبتمبر 2005 حول ما ذكرته وسائل إعلام أمريكية من قيام جنود أمريكيين بإرسال صور تتضمن عمليات قتل مرعبة لمدنيين عراقيين وأفغان إلي أحد المواقع الأباحية علي شبكة الأنترنت مقابل الدخول مجانا للموقع ، وأظهرت إحدي هذه الصور جنودا يضحكون ويرتدون الزي العسكري الأمريكي دون أن يظهر عليه إشارة تبين هوياتهم ، وكانوا مجتمعين حول جثة متفحمة ، وظهرت فى صور أخري جثث مقطعة ، وكثير من الصور المنشورة فى الموقع تقترن بتعليقات تستخف بجثث الموتي ، مثل التعليق الذي كتب على صورة جثة متفحمة حيث كتب تحتها " عراقي مطهو " ومن دون أن يحدد صحة الصور أو هوية الذين التقطوها ـ كما يحدث دائما ـ قال الناطق باسم وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون بريان ويتمان : " إن هذا لا يمثل قيم الجيش الأمريكي ولايمثل الغالبية العظمي من سلوك رجالنا ونسائنا الذين يرتدون الزي العسكري ، إنه سلوك جدير بالأزدراء وهو غير مقبول والوزارة ستتعامل مع هذا الأمر "

في 26 مايو 2005 نقلت وكالة أسيوشيتدبرس تقريرا قالت فيه إن محكمة عسكرية سمعت أقوال جندي أمريكي فى قضية قتل قام بها قائد وحدته السيرجنت شين رست ، وقال الجندي " لقد كنا نقوم بعملية تفتيش لمنزل عراقيين ، ودخلنا منزل العراقي ناصر اسماعيل الذي رحب بنا للتفتيش ، وبدا متعاونا ، وأن قائده طلب منه الذهاب للمجيء بالمترجم ليفحص الأوراق الثبوتية للعراقي ، لكني سمعت إطلاق نار وحينما عدت وجدت العراقي مضرجا بدمائه على الأرض بعدما قتله بايرز عمدا " .

في 15 مارس 2006 نقلت وكالة رويترز تقريرا نشرت كثير من صوره فى وسائل الأعلام المختلفة ومنها قناة الجزيرة عن قيام القوات الأمريكية بارتكاب مجزرة بحق عائلة عراقية فى قرية الصفة التابعة إلي ناحية الأسحاقي القريبة من تكريت و التى تبعد مائة كيلو مترا شمال بغداد ، وقد شوهدت الجثث على شاشات التلفزة لخمسة أطفال وأربع نساء ورجلين ، ونقلت رويترز عن العميد علي أحمد من الشرطة العراقية قوله بأن : " القوات الأمريكية قد قامت بعملية إنزال علي سطح المنزل وقتلت أفراد العائلة المكونة من أحد عشر شخصا بينهم خمسة أطفال " ، وقال محمد المجمعي وهو جار للضحايا والدموع تنهمر من عينيه إنه : " فى الساعة الوحدة والنصف بعد منتصف ليل الثلاثاء 14 مارس فجر الأربعاء قامت قوات الأحتلال الأمريكية تساندها المروحيات بمداهمة منزل المواطن فايز هراط ، وهو معلم فى مدرسة الأسحاقي الأبتدائية ، وبعد سيطرة قوات الأحتلال على المنزل والمنازل المجاورة ، قاموا بتقييد أفراد عائلة هراط ، وضربتهم ، وكانوا علاوة علي رب العائلة وزوجته وثلاثة من أطفاله ، شقيقته ، وأطفالها الثلاثة ، ووالده وامرأة من أقاربهم ، علما بأن أعمار الأطفال كانت تتروح بين شهرين وست سنوات ، ثم قاموا بإطلاق النار على كل أفراد العائلة ، وبعد قتل العائلة ، عمدت القوات الأمريكية إلي تفخيخ المنزل وتفجيره بالكامل فوق جثث الضحايا ، ثم قامت الطائرات بقصفه بعد ذلك " ، أما أم محمد شقيقة الضحية فائز فقالت وهي تبكي : " لقد أعدموا أمي تركية مجيد التى تبلغ من العمر تسعين عاما ، وأخي فايز هراط 27 عاما ، وزوجته سمية 25 عاما ، وثلاثة أطفال حوراء أربع سنوات ، وعائشة سنتين ، وحسام أربعة شهور فقط ، وشقيقتي الأرملة فائزة هراط ، التى قتل الأمريكيون زوجها فى العام الماضي ولديها ولدان يتيمان هما يوسف ست سنوات وأسماء خمس سنوات ، كما قاموا بقتل عزيز خليل ابن خالتي وعمره ثلاثون عاما ، وخطيبته نضال محمد عمرها 23 عاما ، حيث كان حفل زواجهما مقررا يوم الخميس 16 مارس 2006 وكانا يبيتان فى المنزل الذي كان يعد ليوم العرس " ، وأكدت أم محمد أن الجنود الأمريكيين قد جمعوا الأطفال فى خزانات الملابس وقاموا بإطلاق النار عليهم من مدافع رشاشة حتى مزقت رؤوسهم ، ومن ثم تم إعدام الكبار فى غرف ملاصفة لحجرة الأطفال .

وكانت رويترز قد نقلت عن ناطق عسكري أمريكي قوله بأن القوات الأمريكية قد تعرضت لأطلاق نار من المنزل المذكور فى وقت مبكر ، وأنهم كانوا يبحثون عن مقاتلين أجانب ينتمون لتنظيم القاعدة فى العراق ، وقد واجهت الجنرال مارك كيمت نائب قائد القوات الأمريكية السابق فى العراق ، ومسئول التخطيط الأستراتيجي بعد ذلك فى المنطقة العسكرية الوسطي فى الجيش الأمريكي فى حواري معه الذي أجريته فى برنامجي التليفزيوني بلاحدود فى 5 إبريل 2006 بهذه الحادثة وما قام به الجنود الأمريكيون فلم ينفها وقال إن هناك تحقيقات تجري فى مثل تلك الحوادث .

لكن معظم التحقيقات التى تتم فى معظم تلك الحوادث يتم تبرئة ساحة الجنود منها وهناك أدلة كثيرة على ذلك ، منها أن الجيش الأمريكي فى 5 مايو 2005 أسقط تهمة القتل عن الجندي الذي أجهز أمام شاشات التلفزة العالمية عن الجريح العراقي الذي شوهد ممدا فى

أحد مساجد الفلوجة فى معركة الفلوجة الثانية والذي روينا قصته كاملة فى فصل سابق ، وقال القيادة الأمريكية أن " الجندي كان فى موقع الدفاع عن النفس " هكذا دفاع عن النفس أمام جريح أعزل ، ونقلت شبكة تليفزيون " إن بي سي " الأمريكية أن الجنرال جون ساتلر قال : " إن العريف فى البحرية لن يحال للقضاء العسكري لأنه فتح النار وهو فى حالة دفاع مشروع عن النفس " ، وأكدت الشبكة التليفزيونية أن نفس العريف أطلق النار علي ثلاثة آخرين كانوا جرحي فى المسجد لكن الصور لم تظهر فى الشريط الذي تم بثه ، كما أن جنديا آخر قام بإطلاق النار علي عراقي آخر كان فى نفس المسجد .

ودليل آخر فى تقرير بثته رويترز فى أول إبريل 2005 تفيد بأن القضاء العسكري الأمريكي قرر إطلاق سراح قائد سرية دبابات فى الجيش الأمريكي يدعي الكابتن روجيليو مينوليت بعدما ثبث قيامه بإطلاق النار على جريح عراقي فى الكوفة فقتله ، واكتفي المتحدث باسم الجيش بالقول أنه الكابتن قد تم فصله من الجيش .

الأستمتاع بالقتل

" فى الحقيقة... القتل شيء مليء بالمتعة ، عندما تذهب لأفغانستان تجد رجالا كانوا يصفعون النساء بلا مبالاة طيلة خمس سنوات لأنهم لا يرتدون الحجاب ، أنتم تعرفون رجالا مثل هؤلاء ليس لديهم أية رجولة متبقية ، لذا قتلهم هو شيء مليء بالمتعة " .
بهذه اللغة وهذه الثقافة تحدث الجنرال الأمريكي جيمس ماتيس قائد إحدي فرق مشاة البحرية الأمريكية فى العراق فى ندوة عامة فى مدينة سان دياجو بولاية كاليفورنيا الأمريكية فى الأول من فبراير عام 2005 ، لكن الأمر لم يقف عند حد تصريحات الجنرال الذي أظهر إلى أي مدي كان يستمتع بالقتل فى أفغانستان ، ولكن رد فعل الحضور كان أنكي ، إذا أنهم قابلوا هذه التصريحات بالضحك والتصفيق ، وهذا يعكس أن الثقافة بين المتحدث والحضور ثقافة واحدة .
الصحف الأمريكية نشرت ما قاله الجنرال ماتيس فى اليوم التالي على نطاق واسع ، مما جعل عددا من كبار مسئولي وزارة الدفاع الأمريكية يدلون بتصريحات عديدة حول ما ذكره الجنرال ماتيس ، وكانت التصريحات فى مجملها إما دفاعا عن الرجل وإما انتقادا لصراحته فى الحديث عن قتل الآخرين وليس استنكارا لثقافة الأستمتاع بالقتل التى كان يمارسها هو والجنود الأمريكيون ، وكان الجنرال مايكل هاجي قائد مشاة البحرية الأمريكية من هؤلاء ، إذ علق على ماقاله الجنرال ماتيس قائلا : " الجنرال ماتيس يتحدث بدرجة كبيرة من الصراحة لقد قمت بنصيحته بخصوص هذه التصريحات التى أدلي بها ، وقد وافق على أنه كان ينبغي عليه اختيار كلماته بشكل أكثر حرصا " هكذا بصراحة لم يكن هناك اعتراض على " الأستمتاع بالقتل " ولكن

الأعتراض كان على المفردات واللغة الصريحة التى تحدث بها الجنرال ماتيس ، وهذا يؤكد أن هذه الثقافة تمثل جانبا أصيلا فى الممارسات العسكرية الأمريكية .
وكان البروفيسور مارك هيرولد الأستاذ بجامعة نيو هامبشير الأمريكية قد أصدر تقريرا تفصيليا فى ديسمبر عام 2003 تحدث فيه بتفصيل وإسهاب يومي موثق عن قيام القوات الأمريكية بقتل ثلاثة آلاف وثمانمائة مواطن أفغاني فى الفترة من السابع من أكتوبر وحتى السابع من ديسمبر من العام 2003 من خلال تقارير وكالات الأنباء والصحف الأمريكية الكبري وما رواه شهود العيان ، وأفاد هيرولد فى تقريره الذي أثار ردود فعل واسعة النطاق فى حينه أن عدد المدنيين الذين قتلوا من بين هؤلاء القتلي كانوا ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وستين مدنيا ، لاندري عدد الذين استمتع الجنرال ماتيس بقتلهم من بينهم ، لأن الجنرال ماتيس كشف عما كان يقوم به بعد ثلاثة عشر شهرا من تقرير البروفيسور هيرالد ، وإذا كان الجنرال ماتيس قد استمتع بممارسة القتل فى أفغانستان فلاندري ما الذي فعله فى العراق حيث أنه كلف بمهمة فى أفغانستان ومهمتين فى العراق كما جاء على لسان الجنرال بيتر بيس مساعد قائد هيئة الأركان فى الجيوش الأمريكية حينما طلب منه فى مؤتمر صحفي عقده فى الثالث من فبراير 2005 أن يعلق على تصريحات الجنرال ماتيس ، ولعل ما تناقلته الصحف الأمريكية ووسائل الأعلام المختلفة وآخرها ما كان فى الفلوجة في إبريل ونوفمبر 2004 ، يظهر أن ثقافة الجنرال ماتيس هي الثقافة الغالبة في العقلية العسكرية الأمريكية فقد نقل كثير من الصحفيين الأمريكيين الذين رافقوا القوات الأمريكية فى العراق جانبا من الفظائع التى تنتهك والتى أشرنا إليها فيما سبق ، وهي كلها تعتبر امتدادا لثقافة " الأستمتاع بالقتل " التى تحدث عنها صراحة الجنرال ماتيس ، وقد قام خيرت فان كيستيرين مصور مجلة " نيوزويك " الأمريكية بنشر عشرات الصور التى التقطها لجوانب من تلك الثقافة فى كتاب نشرته مؤسسة "باكس كريستي " الهولندية تحت عنوان " لماذا يا سيدي ؟ لماذا ؟ " وقدم له كبير محرري مجلة نيوزويك مايكل هيرش وهو فى نفس الوقت مؤلف كتاب " فى حرب مع أنفسنا : لماذا تبدد أمريكا فرصتها فى بناء عالم أفضل ؟ " وقد عكس هذا الكتاب المصور جانبا مؤلما لما يحدث فى العراق وهذه الثقافة ليست جديدة ، وقد سجلت فى عشرات الكتب الأخري التى صدرت فى الولايات المتحدة وترجم كثير منها إلي لغات العالم المختلفة ومن أبرزها كتاب " الدولة المارقة " الذي كتبه وليام بلوم أحد كبار موظفي الأدارة الأمريكية السابقين الذين فضح الخروقات التى قامت بها الولايات المتحدة فى كل الدول التى دخلتها عسكريا بعد الحرب العالمية الثانية ، كما سجل بيتر سكاون تفاصيل أخري عما حدث من فظائع فى هيروشيما ونجازاكي ونيكاراجوا وهندوراس وغواتيمالا وتشيلي فى كتابه القيم " أمريكا .. الكتاب الأسود " وقد فسر نعوم تشومسكي الذي يوصف بأنه أبرز الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين الحاليين تلك الثقافة فى كتابه " النزعة الأنسانية العسكرية الجديدة " وشرح بتفصيلات معمقه النفسية الأمريكية فى التعامل مع الآخر لاسيما ما يتعلق بثقافة الأستمتاع بالقتل منذ بداية الحروب مع الهنود الحمر وحتى الآن ، ولهذا فإن أمريكا كانت من أكبر المعترضين

على المحكمة الجنائية الدولية فى روما ، ولم توقع علي ميثاقها وتشترط علي كل الدول التى تقدم لها مساعدات عدم التوقيع علي ذلك الميثاق والتعهد بعدم تقديم أي جندي أمريكي للمحاكمة أمامها .
من الجرائم البشعة التى اكتشفت فى العراق والتى تؤكد علي أن ثقافة الأستماع بالقتل منتشرة بين الجنود الأمريكيين التقرير الذي نشرته صحيفة الأنبدنت البريطانية فى 4 فبراير 2005 حول قيام خمسة من الجنود الأمريكيين بإجبار زيدون فاضل فاضل وهو من مدينة سامراء وكان قد مضي على خطبته ثلاثة أسابيع وكان يعد لزفافه ـ قد أجبروه مع ابن عمه مروان فاضل على القفز فى نهر دجلة فأخبرهم أنه لايستطيع العوم ، ولكنهم أجبروه مع ابن عمه تحت تهديد السلاح ، فما كان من مياه النهر العاتية التى تتدفق بقوة من سد بحيرة الثرثار ، إلا أن ابتلعته فيما نجا ابن عمه فاضل الذي روي المأساة ، ونقلت وكالة رويترز فى تقرير لها نشرته فى 6 يناير 2005 عن مروان قوله أمام المحكمة : " لقد أخذونا تحت تهديد السلاح إلي حافة الجسر ، ورجوناهم ألا يلقوا بنا في الماء وتوسلنا لهم بالأنجليزية ألا يفعلوا ذلك ، ولكن توسلاتنا ذهبت عبثا ، وقد القي بنا الجنود فى الماء من ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف ، وكانوا يضحكون وهم يصوبون بنادقهم إلينا ونحن نصارع الماء "
وقد سعي الجيش الأمريكي كالعادة لعرض تعويض على أسرة القتيل لكنهم رفضوا ، وطالبت الأم المكلومة بوش بالتحقيق ، وورغم أن الجيش الأمريكي يعلن أنه سيحقق فى مثل هذه الحوادث إلا أنه عادة ما يبريء جنوده .
ورغم أن الأمريكيين يتنصلون دائما من الحديث عن الضحايا العراقيين جراء هذه الحرب الظالمة ، إلا أن الرئيس الأمريكي جورج بوش وتحت الضغوط اعترف بأن عدد الضحايا المدنيين فى الحرب على العراق وصل إلي ثلاثين ألف قتيل إلا أن مجلة " ذي لانست " الطبية البريطانية أكدت على أنهم وصلوا فى نهاية العام 2005 إلي مائة ألف قتيل ، ثم أشارت بعد ذلك إلي أن عددهم وصل إلي ستمائة وخمسين ألف قتيل ، غير أن العداد لم يتوقف وإنما فى زيادة لاسيما بعدما نجح الأمريكيون بسياستهم فى بث بذور الحرب الأهلية حيث تكتشف كل يوم عشرات الجثث من المدنيين العراقيين وقد أطلقت عليها النيرا ن وعليها آثار التعذيب مما يرشح الأعداد لزيادة كبيرة ربما لا تخطر على بال أحد .
إن ما اعترف به الجنرال ماتيس وما تتناقله الكاميرات وما ينقله الصحفيون والكتاب لا يمثل إلا جانبا صغيرا من تلك الثقافة الكبري العسكريين الأمريكيين " ثقافة الأستمتاع بالقتل " ، غير أن الأمريكيين لم يرتكبوا الجرائم وحدهم وإنما شاركهم البريطانيون علي نطاق واسع .

مشاركة البريطانيين فى الجرائم

" بالنظر إلي سجل جيشنا فى الأنتهاكات والتعذيب من الملاي إلى قبرص وعدن وإيرلندا الشمالية .. فإن ثقافة التوحش حقيقة قائمة فى الجيش البريطاني .. هل هناك مبرر للدهشة لو أعرب الناس عن شكوكهم فى الدعاوي بأن العدالة قد تحققت .. إن الأدلة التى تكشفت خلال المحاكمة العسكرية عن الأنتهاكات التى وقعت داخل معسكرات الجيش البريطاني فى العراق تشير إلى خطأ فادح فى قواتنا المسلحة التى تتضمن إذلالا جسديا ونفسيا وانتهاكات جنسية ليست قاصرة فقط على العمليات العسكرية الخارجية لكنها تحدث فى الداخل أيضا " .
كان هذا بعض ما كتبته جوانا بورك أستاذة التاريخ فى كلية بير كبيك فى جامعة لندن فى صحيفة الجارديان البريطانية فى 26 من فبراير الماضي تعليقا على إدانة ثلاثة من الجنود البريطانيين أمام محكمة عسكرية بارتكاب انتهاكات ضد مدنيين عراقيين ، لكنها هنا مرت على التاريخ الحافل لممارسات الجيش البريطاني فى كافة الدول التى خضعت لاحتلاله خلال العقود وربما القرون الماضية ، وسعت للتركيز فى مقالها على أن ما كشف عن قيام جنود بريطانيين بانتهاكات فاضحة ضد المدنيين المعتقلين فى العراق يعبر عن ثقافة أصيلة فى الجيش البريطاني ، وذكرت بورك بأن التعليمات التى كانت تقدم للجنود البريطانيين والأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية قبل توجههم إلى ساحة المعركة فى اليابان ، حيث كان المدرب يقول لهم " إنكم متهجون إلى المحيط الهادي وليس إلى أوروبا فلا تترددوا إذن فى " قتل اليابانيين القذرين " واستنتجت أن مايحدث فى العراق شيء من هذا .
وفي نفس اليوم خصصت صحيفة الأندبندنت افتتاحيتها لنقد تلك الأنتهاكات تحت عنوان " سمعة الجيش البريطاني تضررت بشدة " ، ووصفت الصحيفة ما قام به الجنود البريطانيون فى معسكر " بريد باسكت " فى البصرة خلال شهر مايو ايار عام 2003 بأنه كان " مذلا وقاسيا ووصل فى بعض الأحيان إلى التعذيب المنظم " وطالبت الصحيفة الجيش بأن " يكشف المدي الأقصي الذي بلغته هذه الفضيحة ولابد أن تري العدالة وهي تأخذ مجراها " .

ومع تسابق الصحف البريطانية لكشف المزيد من الحقائق حول هذه الأنتهاكات كشفت صحيفة " صنداي تلجراف " فى اليوم التالي السابع والعشرين من فبراير النقاب عن وجود أكثر من خمسين جنديا بريطانيا يواجهون المحاكمة بتهمة القتل وجرائم أخري فى العراق ، وأشارت الصحيفة إلي أنها حصلت على صورة من وثائق عسكرية تثبت بالتفصيل قيام الجنود البريطانيين بعمليات انتهاك وإساءة معاملة للعراقيين يقدر عددها بحوالي 137 حادثة .

وكشفت هذه الوثائق التى أشارت الصحيفة إلي أنها حملت تصنيف " محظور ـ تحقيقات سرية " للمرة الأولي حجم التحقيقات التى أجريت حول سلوك الجنود البريطانيين منذ بدء الحرب على العراق فى مارس عام 2003 .
ومن بين ما كشفته تلك الوثائق مقتل 8 بريطانيين أثناء احتجازهم فى معسكرات القوات البريطانية ، ومن أكثر هذه الحوادث وحشية مقتل أحمد جابر كريم الذي لا يزيد عمره عن ستة عشر عاما والذي كان قد اعتقل فى مايو عام 2003 وحينما أطلق سراحه مع ثلاثة من رفاقه أجبره الجنود على القفز فى الماء ولأنه لا يعرف السباحة فقد غرق بينما كان الجنود يستمتعون بهذا الأسلوب السادي فى التعذيب ، وأشارت الصحيفة إلى أن الوثائق التى حصلت عليها ذكرت أسماء كافة الجنود لكنها رفضت الكشف عنها لأسباب قانونية .

أما صحيفة التايمز فقد تجاوزت الأتهامات الموجهة للجنود وتساءلت فى مقال نشر فى الرابع والعشرين من فبراير قائلة " الجنود مذنبون بسبب الأنتهاكات ، ولكن هل ضباطهم مذنبون أيضا ؟ " وأشارت إلى أن ماقام به الجنود البريطانيون فى العراق كشف عن " واحدة من أكبر الفضائح التى يواجهها الجيش البريطاني حتى الآن " ومع الأدانات الرسمية لما قام به الجنود حتى من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير إلا أن صحيفة الجاريان أكدت اثناء محاكمة الجنود فى 20 يناير الماضي على أن قادة الجيش اليريطاني كانوا علي علم بحدوث انتهاكات ضد المعتقلين العراقيين ، ولعل هذا يقود إلى المخاوف التى أبدتها صحيفة الديلي تلجراف فى نفس اليوم من أن تكون " عمليات التعذيب تتم على نطاق واسع " .

فضيحة البريطانيين في البصرة

رغم محاولات رئيس الوزراء العراقي إبراهيم الجعفري أثناء زيارته لبريطانيا في 20 سبتمبر من العام 2005 ، لملمة التداعيات التى كانت لازالت تتصاعد فى البصرة جنوب العراق حول ضبط جنديين تابعين للقوات الخاصة البريطانية يوم الأثنين 19 سبتمبر 2005 متنكرين فى ملابس عربية ، ويحملان فى سيارتهما مواد شديدة الأنفجار وأسلاك من التى تستخدم فى عمليات التفجير ، وأجهزة تفجير وأسلحة ، ثم قيام القوات البريطانية بتحرير الجنديين بعد الهجوم على مقر احتجازهما التابع للشرطة ، وطلب الجعفري فى المؤتمر الصحفي الذي عقده مع وزير الدفاع البريطاني جون ريد " بضرورة اتخاذ الأجراءات التى تمنع تكرار هذا الحادث المؤسف " إلا محاولات الجعفري لم تنجح لاسيما بعد ردود ريد عليه ، وبدا الجعفري فى وضع لا يحسد عليه حينما نشرت وكالة اسيوشيتد برس للأنباء صورته فى المؤتمر الصحفي وهو يتصبب عرقا ، بينما كان وزير الدفاع البريطاني جون ريد الذي كان يقف إلي جواره يؤكد

وبقوة على تأييد الحكومة البريطانية لقواتها فى البصرة ، وقرارها بمداهمة مديرية شرطة الجرائم لتحرير الجنديين .
الحادث بغض النظر عن تداعياته فتح ملفات كبيرة حول العمليات الأجرامية التى تتم كل يوم فى العراق ويذهب ضحيتها عشرات من العراقيين وعادة ما يوصف مجهولون بتنفيذها ، فهناك عمليات تتبناها جماعات مسلحة تعلن عنها إما فى بيانات أو في أشرطة مصورة ، لكن هناك عشرات العمليات التى لا يتبناها أحد حيث يتم خلالها تصفية الشخصيات العراقية البارزة من المفكرين والعلماء والأطباء والمعارضين للأحتلال أو من المدنيين عامة ، وعادة ما تحمل هذه العمليات وبصمات أدائها احترافا عاليا فى التنفيذ ، وفوضويا فى اختيار الأماكن ، لكن تفصيلاتها أو إلقاء الضوء عليها يضيع فى زحام وفوضي العمليات التى تتم كل يوم ، فأصبح الناس لا يميزون بين العمليات التى يمكن أن تنسب للمقاومة والعمليات التى تقوم بها تلك الأيدي الخفية والتى ربما يكشف حادث القبض على الجنديين البريطانيين وما يحملانه من أدوات ومواد تسخدم فى تلك العمليات علامات استفهام قد تحل كثيرا من ألغاز التفجيرات غير المبررة فى العراق والتى تتم في مناطق الجنوب الشيعية بشكل خاص ومناطق السنة فى بغداد والرمادي والأنبار والموصل وديالي وبعقوبة وسامراء وغيرها ، وقد أبلغني الشيخ جواد الخالصي أحد الرموز الشيعية في العراق في حوار أجريته معه فى برنامجي بلاحدود تم بثه فى 2 مايو 2007 أن كثيرا من هذه التفجيرات التى تتم في تجمعات الشيعة تشير وسائل وطرق تنفيذها إلي أجهزة استخبارات غربية وإسرائيلية تقف وراءها حيث تصدر التعليمات للجنود العراقيين بأن يسمحوا بمرور سيارات معينة ثم يفاجأ الجميع بأن السيارات التى سمح بمرورها هي التى يتم تفجيرها بعد ذلك ، والقبض علي البريطانيين .

ويري بعض المراقبين ـ الذي يشيرون لأيدي خارجية فيما يحدث ـ أن استهداف الأطفال والنساء و المدنيين العزل لا يدخل فى أي من أدبيات أجنحة المقاومة أو أشدها تطرفا ، والمراقب يلحظ أن العمليات التى كانت تتم ضد القوات الأمريكية أو ضد الجيش العراقي أو الشرطة قد انخفضت لصالح تفجيرات عشوائية داخل المناطق السكنية معظم ضحاياها من المدنيين ، ولم يكن السنة أسعد حظا من الشيعة في هذا ، وفي لقاء أجريته مع طارق الهاشمي نائب رئيس الجمهورية والأمين العام للحزب الأسلامي العراقي أكد لي أنه لا يستبعد أن دورا شبيها بالدور الذي لعبته الأستخبارات الأمريكية فى فيئتنام فى الستينيات والسبعينيات والذي كان الهدف منه تشويه المقاومة الفيئتنامية عبر عمليات تفجير عشوائية فى المناطق المدنية ينفذ مثله الآن فى العراق ، لاسيما فى ظل تقارير كثيرة تتحدث عن أدوار استخباراتية كبيرة تقوم بها علاوة على القوي المحتلة للعراق قوي لأجهزة استخبارات أخري على رأسها إيران وإسرائيل .
إن ما حدث فى البصرة هو فضيحة كبيرة للقوات البريطانية ولكل أجهزة الأستخبارات التى تلعب أدوارا قذرة فى العراق ، ويؤكد على أن كل تفجير يتم فى العراق لاسيما إذا

كان وسط المدنيين ليس بالضرورة أن تكون وراءه المقاومة ، وقد دفعت هذه الجرائم التى يركتبها البريطانيون في العراق بعض الشخصيات البريطانية المعارضة للحرب أن تدعوا العراقيين إلي مقاومة الأحتلال البريطاني مثل عضو مجلس العموم البريطاني تام داليبل الذي يلقبه البريطانيون بـ " أبو مجلس العموم البريطاني " .

أبو مجلس العموم البريطاني يدعو لمقاومة الأحتلال

بينما كان مئات من صيادى الثعالب البريطانيين يحتجون بكلابهم المخيفة خارج البرلمان ذي المبني العتيق في ويستمنستر فى لندن ، يوم الأربعاء الماضى على قرار للحكومة البريطانية حول منعهم من صيد الثعالب بالكلاب ، كنت ألتقى داخل البرلمان مع العضو البارز تام داليبل " أبو مجلس العموم البريطانى " كما يقلب فى بريطانيا ، وذلك قبيل المقابلة التلفزيونية التى أجريتها معه مساء نفس اليوم في برنامجي التليفزيوني " بلاحدود " حول السياسة البريطانية في الشرق الأوسط وتحديدا الدور البريطاني فى المشاركة فى احتلال العراق ، أخذنى داليبل من يدى بعدما استقبلنى فى الصالة الرئيسية وكأن بيننا صحبة قديمة إلى إحدى القاعات الجانبية وأجلسنى على كرسى قبالته ، ثم قال لى : " سل ما شئت يا أحمد " ، قلت له : " أنا لست هنا لتوجيه الأسئلة ن وإنما أسئلتي سوف أطرحها عليك فى البرنامج علي الهواء ، لكنى جئت للحديث معك والتعرف علي بعض ما يدور داخل مجلس العموم البريطاني لاسيما ما يتعلق بالموقف الحالى لرئيس الوزراء تونى بلير وموقف الحكومة بعد استدعاء بلير إلى لجنة برلمانية للتحقيق معه حول التقرير الذى قدمته الحكومة البريطانية للبرلمان وحازت به على تأييده لشن الحرب على العراق ، ثم اتضح بعد ذلك أنه لم يكن تقرير استخبارات وإنما تقرير لطالب عراقى يدرس الدكتوراه ، وأنه أخذ من موقع على الأنترنت وخدع به النواب وقدمه علي أنه معلومات استخباراتية ، وهكذا فعلت الولايات المتحدة وقامات بفبركة بعملية تضليل كبيرة لترويج أسباب قيامها بشن الحرب علي العراق ، وبعد ذلك اعترف البيت الأبيض بالخديعة ، بعد ما فضح السفير الأمريكى السابق فى الجابون جوزيف ولسون إدارة جورج بوش واتهمها فى حوار نشرته صحيفة " نيويورك تايمز " يوم الأحد 6 يوليو الجارى بالتلاعب فى معلومات استخباراتية لتبرير الحرب وأن التقرير الذى استندت إليه أمريكا حول شراء العراق يورانيوم من النيجر ملفق ، ومن ثم فإن الدولتين العظميين كذبتا على العالم وعلى شعوبهما وعليكم أنتم أعضاء البرلمان وممثلى الشعب ، وخاضتا حربا غير مبررة ضد العراق ، وانتقاما من السفير ويلسون قام سكوتر ليبي مستشار نائب الرئيس ديك تشيني بتسريب إسم زوجة ويلسون التى كانت عميلة لدي السي آي إيه ، فيما عرف بعد ذلك بفضيحة ليبي ، حيث حوكم وأدين في جرائم تصل عقوبتها إلي 25 عاما .

تحدث الرجل باستفاضة عن تصورة لسيناريو الحرب وأدركت أنه من ربما يكون من أبرز البريطانيين دراية بشئون المنطقة العربية ، وقال إن اهتمامه بالمنطقة نابع من كون أن أبيه وأمه عاشا فى العراق فترة طويلة ، وشكلت الدول العربية مكانة فى اهتمامهم وحياتهم ، وحينما عرف أنى من مصر قال لى : لقد قضيت شهر العسل فى مصر حيث تزوجت فى شهر يناير عام1964 ، وأذكر وأنا فى شهر العسل فوجئت ذات ليلة بطرق على باب غرفتى فى الفندق الذى كنت أنزل فيه بعد منتصف الليل ، ففتحت فقالوا لى : إن شخصا مهما يريد رؤيتك ، فارتديت ملابسى وأنا لا أدرى من يكون هذا الشخص المهم الذى يريد رؤيتى بعد منتصف الليل ، ففوجئت بأن هذا الشخص هو الرئيس جمال عبد الناصر ، استقبلنى بحفاوة ، وقال لى نحن نعرف كل شيء عنك وعن عائلتك وحينما وجدنى لا أتكلم العربية ، قال لى : إن أباك وأمك يتحدثان العربية بطلاقة فلم لاتكون مثلهما ، وكان أبى وأمى فعلا يتحدثان العربية بطلاقة ، كانت مقابلة مجاملة لكنها تركت فى نفسى أثرا لايزول عن مصر التى أحبها كثيرا " .

ينحدر تام داليبل من أسرة عريقة وهو " بارون " بالوراثة عن طريق والدته ، لكنه مع ذلك انتمى لحزب العمال البريطانى ، ودخل البرلمان عام 1962 ولم يخرج منه يوما واحدا ، وبالتالى فهو أكبر أعضاء البرلمان سنا وأكثرهم احتكاكا بكل الأحداث التى مرت بها بريطانيا طوال أكثر من أربعين عاما ، لكنه مع ذلك أكثرهم حكمة ودراية ومعارضة لسياسة توني بلير وللنفوذ الصهيونى فى إدارته ، وقد فتح الرجل النار عليهم فى حوارات صحفية عديدة جلبت له كثيرا من المتاعب لكنه مصر على موقفه الذى يعتبر فيه اللورد ليفى مبعوث رئيس الوزراء للشرق الأوسط حليف رئيسيى لأسرائيل ، وقال الرجل لى بفخر : " لقد شهد أبى تخطيط كثير من الدول العربية على الرمال قبيل أن تعلن دولا مستقلة لاسيما العراق والكويت وبالتالى فأنا أفهم كثيرا من أبعاد السياسة فى تلك المنطقة وأتعاطف مع قضاياها " ، وقد أدان الرجل السياسة البريطانية والأمريكية واللوبى الصهيونى فى كلا البلدين لكن السؤال الحساس الذى لم أتوقع إجابته عليه بكل صراحة ووضوح كان حول الأحتلال الأمريكى البريطانى للعراق وهل من حق العراقيين كشعب محتل أن يقاوم قوات الأحتلال حتى لو كانت بريطانية ؟ قال الرجل فى شجاعة وجرأة ودون تردد : " أقول نعم من حق العراقيين أن يقاوموا المحتل حتى لو كانوا جنودا بريطانيين ، فلو أن العراقيين الذين احتلوا بريطانيا لقاومناهم ومن ثم فإن من حق العراقيين أن يقاومونا ؟ " قلت له : " هل تعتقد أن نجاح العراقيين فى إيقاع المزيد من القتلى فى صفوف جنودكم يمكن أن يدفعكم إلى التفكير فى الخروج من العراق ؟ " قال : " رغم أنى لا أتمنى ضحايا فى كل الأطراف ، لكن نعم ربما يساعد زيادة القتلى فى صفوف البريطانيين على خروجنا من العراق " .

هناك شخصيات سياسية كثيرة تحفل بها مزبلة التاريخ وهنا ك شخصيات سياسية قليلة لا تملك وأنت تستمع إلى آرائها إلا أن تحييها على جرأتها على قول الحقيقة حتى لو على نفسها لأن لديها أخلاق ومباديء فى عالم سياسى يعتمد على الكذب والتدليس ليس على

العدو وإنما على الشعب والبرلمان والكونجرس تماما كما فعل كل من بوش وبلير ، أما تام داليل الذى يلاحقه الصهاينة بسبب مواقفه المؤيدة للعرب ، ويغفل عنه العرب لأنهم غافلون حتى أنفسهم ذلك الرجل الذى عارض الحرب ضد العراقيين بشدة يؤيد الآن أيضا وبشدة حق العراقيين فى مقاومة جنود بلاده المحتلين ، وهذا رأى ربما لا يستطيع أن يجهر به للأسف كثير من السياسيين العرب .

جرائم سجن أبوغريب

بعد مرور أكثر من ثلاثة أعوام علي ظهور صور معتقلي سجن ابوغريب فى العراق والتى ظهرت فى شهر إبريل من العام 2004 وهم فى أوضاع مهينة مختلفة مما أثار الرأي العام العالمي ، اتضح أن الشخص الوحيد الذي ربما كان صادقا فى كل الرواية من المسئولين الأمريكيين هي الجنرال جانيس كاربينسكي الرئيسة السابقة لأدارة السجون الأمريكية فى العراق ، فقد أشارت بأصابع الأتهام من البداية إلي الجنرال ريكاردو شانسيز قائد القوات الأمريكية السابق فى العراق فى مقابلة معها نشرتها محطة بي بي سي البريطانية فى منتصف شهر يونيو من العام 2004 ، وقالت الجنرال كاربينسكي التى أوقفت عن العمل : " أعرف أن المدة التى أمضتها وحدة الشرطة العسكرية التى ينتمي إليها هؤلاء الجنود لم تكن كافية حتى تمنحهم الثقة للقيام فى ليلة واحدة أو في وقت مبكر من الصباح ، بإخراج السجناء من زنازينهم وتكويمهم فوق بعضهم البعض ، وتصوير أنفسهم فى المواقع المختلفة مع هؤلاء المحتجزين " ، وقالت الجنرال كاربينسكي : " إن الأستخبارات العسكرية أدارت جزءا من سجن أبوغريب لاستجواب العراقيين بنفس الطريقة التى جرت فى معسكر الأعتقال فى خليج جوانتانامو بكوبا " ، وأضافت : " أن مدير السجون العراقية في شهر - مارس 2005 - الميجور جنرال جيفري ميلر الذي كان مسئولا قبل ذلك عن معتقل خليج جوانتانامو زراها فى بغداد وقال لها : " تعلمنا فى جوانتاناموا أن السجناء يستحقون كل ما يحدث لهم ... إنهم مثل الكلاب ، وإذا سمحت لهم بالإعتقاد أنهم أكثر من ذلك بدرجة بسيطة فمن ثم ستفقدين السيطرة عليهم " .

وأشارت كاربينسكي إلى الجنرال ريكاردو شانسيز أكثر من مرة وقالت : " إنه يجب أن توجه له أسئلة جادة بشأن ما عرفه حول الأنتهاكات ومتى حدثت بالضبط " ، وقد ظهرت الجنرال كاربينسكي على شاشة التلفزة فى فيلم وثائقي أعدته شركة فرنسية عن سجن أبوغريب وبثته " قناة الجزيرة " فى شهر يناير من العام 2005 ، وقالت نفس الكلام ووجهت الأتهام إلى قيادات عسكرية عليا بمعرفتها بما تم بل ربما لم تقف عند حد المعرفة بل أصدرت الأوامر بذلك وقالت : " إن الأمور ستتكشف إذا جري محاكمة كل شخص على حدة " ، وأكدت أنها اتخذت كبش فداء للتغطية علي المسئولين الحقيقيين ،

ورغم أن كافة العسكريين الأمريكيين وعلي رأسهم وزير الدفاع آنذاك دونالد رامسفيلد كذبوا ما ذكرته كاربينسكي ، ونفي الجنرال سانشيز ـ الذي سلم قيادة القوات الأمريكية فى العراق إلى الجنرال جورج كايسي فى بداية يوليو من العام 2004 ـ أن يكون قد أصدر أي أوامر تسمح باستخدام تقنيات تحقيق مع السجناء كالحرمان من النوم ، إلا أن مذكرة نشرها الأتحاد الأمريكي للحريات المدنية فى 30 مارس 2005 تم الحصول عليها من الحكومة بأمر من المحكمة من خلال قانون حرية المعلومات فى الولايات المتحدة ونشرتها وكالة " رويترز " أكدت علي أن اللفتنانت جنرال ريكاردو سانشيز فوض باستخدام أساليب استجواب غير قانونية فى العراق وهذه الأساليب تنتهك بوجه خاص معاهدات جنيف والكتيب الخاص بالجيش الذي يحكم عمليات الأستجواب " ، وقال أمرين سينغ محامي الأتحاد الأمريكي للحريات المدنية : " إن 12 أسلوبا على الأقل من أساليب التحقيق التى حددها شانشيز كانت بعيدة عن الكتيب الميداني للجيش التى تقضي قواعد الأستجواب به الألتزام بمعاهدات جنيف " ، وتحمل مذكرة سانشيز تاريخ 14 سبتمبر عام 2003 أي قبل بداية الحديث عن عمليات التعذيب فى سجن أبوغريب التى بدأت فى يناير من العام 2004 ثم أصبحت فضيحة مدوية بعد نشر صور السجناء فى إبريل 2004 ، وسمحت مذكرة سانشيز للجيش باستخدام الكلاب فى التعذيب وإجبار المعتقلين علي أوضاع مجهدة ومؤلمة بدنيا لأجبارهم على التحدث ، كما سمحت بالتلاعب فى البيئة المحيطة بهم ، مثل جعل الغرفة شديدة البرودة أو شديدة الحرارة ، أو استخدام " روائح كريهة " وعزل السجين وتغيير أنماط النوم المعتادة ، وقال محامي الأتحاد الأمريكي للحريات المدنية أمرين سينغ " من الواضح أن الحكومة تحتجز هذه الوثيقة ليس بسبب قلق حقيقي من أنها ستضر بالأمن القومي وإنما لحماية نفسها من الأحراج " .

وفي 3 مايو 2006 نشرت وكالة رويترز تقريرا عن وثائق جديدة حصل عليها اتحاد الحريات المدنية الأمريكي بموجب أمر قضائي فى إطار قانون حرية المعلومات ، منها وثيقة لوكالة مخابرات الدفاع أعدت بتاريخ 19 مايو 2004 كانت بين أكثر من 100 ألف صفحة سلمتها الحكومة الأمريكية إلي اتحاد الحريات المدنية الأمريكي ، جاء في أقوال أحد الضباط التى وردت فى الوثيقة أن أكبر قائد أمريكي فى العراق أثناء فضيحة انتهاكات سجن أبوغريب ـ وهو اللفتنانت جنرال ريكاردو شانشيز ـ حث القوات الأمريكية على الذهاب إلي أقصي مدي لانتزاع المعلومات من السجناء ، وقالت الوثيقة التى تقع فى 35 صفحة والتى تتضمن قواعد وتفاصيل الأشتباك للمحققين الذين كانوا يستجوبون المعتقلين في سجن أبوغريب في إبريل 2004 " أن شانشيز وجد أن هناك حاجة ماسة للحصول على معلومات مخابرات من السجناء مضيفا أن مقر القيادة يريد من المحققين كسر إرادة المعتقلين " ، وكانت مذكرة أخري تحمل تاريخ 14 سبتمبر 2003 أكدت علي أن سانشيز قد فوض المحققين باستخدام أساليب استجواب أكثر صرامة من الأعراف المقبولة فى الجيش تشمل استخدام كلاب الحراسة لاستغلال خوف العرب من الكلاب ، وسمحت المذكرة كذلك بالأوضاع المجهدة التى يوضع فيها السجناء

فى أوضاع مؤلمة جسديا فى محاولة لأجبارهم على الأدلاء بمعلومات " وكان سانشيز الذي عمل قائدا للقوات الأمريكية فى العراق عاما كاملا بين يونيو 2003 إلي يونيو 2004 ، ووقعت فضيحة سجن أبوغريب فى عهده قد برأ الجيش ساحته من هذه الأتهامات التى يمكن أن تصل مباشرة إلى وزير الدفاع رونالد رامسفيلد ، وكان شانشيز وقت صدور ذلك التقرير فى فى 3 مايو 2006 يشغل منصب قائد الفيلق الخامس بالجيش الأمريكي فى ألمانيا .

وقد أكدت أرميت سينج أحد أعضاء الأدعاء فى مشروع حقوق المهاجرين فى منظمة الحريات المدنية الأمريكية أن المعلومات الموضحة فى هذه الوثائق تقدم أدلة واضحة علي أن عمليات التعذيب كانت هي القاعدة وليس الأستثناء ، وأضافت أن محاولات القيادة العسكرية التأكيد على أن عمليات التعذيب قام بها عدد من الجنود المنحرفين ليس صحيحا .

وإذا كان الأمر يحوم فى تحمل المسئولية حول بعض الضباط الصغار أو ربما الأكبر رتبة لكن تقريرا نشرته صحيفة " الخليج " الأماراتية فى 22 ديسمبر 2004 كتبه الصحفيان الأمريكيان فرانك ديفز ، وكارول روزنبرج ، كشفا فيه عن مذكرة لمكتب التحقيقات الفيدرالي " إف بي آي " ذكرت أن وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد هو الذي سمح بأسخدام أساليب قاسية تفوق " المسموح به " فى التحقيق مع السجناء العراقيين وأيده في ذلك مسئولان حكوميان لم تفصح المذكرة عن اسميهما .

وفي 16 أكتوبر 2005 هدد الناطق باسم البيت الأبيض سكوت ماكليلان باستخدام البيت الأبيض لحق النقض الفيتو علي ميزانية الدفاع فى حال الأبقاء علي التعديل الذي يحظر بوضوح على العسكريين تعذيب وسوء معاملة أسري ، وهذا حسب رأي المراقبين كما جاء فى تقرير بثته وكالة الأنباء الفرنسية حول هذا التهديد أنه يمثل حماية مباشرة من البيت الأبيض للتعذيب الذي يمارسه العسكريون .

ولقد كان القرار الأخير الذي أصدره بول بريمر الحاكم الأمريكي للعراق فى الفترة من مايو 2003 إلي نهاية يونيو 2004 هو تمديد الحصانة للجنود الأمريكيين والمرتزقة الدوليين الذين يعملون مع القوات الأمريكية من الملاحقة قضائيا حيال أي جرائم يرتكتبونها فى العراق ، وقال مسئول أمريكي كبير فى تصريحات نشرتها كثير من وكالات الأنباء فى 24 يونيو " أن الأدارة اتخذت قرارا من جانب واحد ومنحت حصانة لقواتها فى العراق بعد تسليم السلطة الرمزي فى 30 يونيو وبموجب هذه الحصانة لن يتم تقديم أي من الجنود الأمريكيين الذين قتلوا عراقيين أو دمروا ممتلكاتهم أمام المحاكم العراقية ، وقال المسئول إن هذا تمديد لصلاحية القرار رقم 17 الذي أصدره الحاكم للعراق بول بريمر ، كما أن الولايات المتحدة بشكل عام قد أخذت إقرارات خطية من حكومة العراق التى صنعتها ومن كل الحكومات التى تقدم لها الدعم وعلي رأسها الدول العربية بعدم مقاضاة أي جندي أمريكي بأي تهم تتعلق بجرائم حرب حيال ما يرتكبه الجنود الأمريكيون من جرائم ، كما أن الولايات المتحدة لم تقم بالتوقيع على اتفاقية المحكمة الجنائية الدولية التى يقع مقرها فى روما وتحاربها إلي الآن ، وأبسط دليل على

ذلك أن الحكومة التى صنعها الأمريكيون فى العراق لم تتقدم فعليا ولا تستطيع بأي شكوي على أي جندي أمريكي رغم هذه الأنتهاكات الفظيعة التى ترتكب ضد الشعب العراقي وإنما الشكاوي التى ترفع يتقدم بها الأهالي المتضررون .
لقد كشفت هذه المذكرات مقدار الأكاذيب وحجم الأنتهاكات التى تمارس بشأن العراق والشعب العراقي وعلي أعلي المستويات فى الأدارة الأمريكية وأن كشف مزيد من المذكرات والوثائق كل يوم سوف سيبين حجم التورط للكبار قبل الصغار في الأنتهاكات التى تحدث ويكفي أنه بعدما يقرب من عام من كشف فضيحة التعذيب بالصور فى سجن أبوغريب اتضح أن الجميع كذبوا في حرب قامت من البداية على الأكاذيب .

الأسرائيلون يشاركون فى التحقيقات

لكن البريجادير جنرال جانيس كاربينسكي حينما لاحظت أنها سوف تكون كبش فداء للجرائم التى ارتكتب فى سجن أبوغريب قررت أن تبوح بكثير من الأسرار وأن تفضح الجميع ففي 3 يوليو 2004 أعلنت كاربينسكي أن لديها أدلة على مشاركة إسرائيليين فى عمليات التحقيق مع معتقلين عراقيين فى مراكز اعتقال أخري ، وقالت فى تصريحات إلي محطة " بي بي سي " البريطانية ، إنها التقت مع أحد الأسرائيليين الذي كان يعمل محققا فى مركز استخباراتي سري فى بغداد ، **وقالت كاربينسكي: رأيت شخصا هناك لم أكن قد قابلته سابقا، سألته ان كان مترجما حيث كانت ملامحه شرق أوسطية. قال انه اسرائلي وانه يشارك في أعمال التحقيق وأنه يتكلم العربية".** وكانت هذه هي المرة الأولي التى يعترف فيها ضابط أمريكي رفيع المستوي بوجود إسرائيليين يتعاونون مع القوات الأمريكية بشكل مباشر فى العراق لاسيما في عمليات التحقيق ، ورغم وجود أدلة كثيرة على ذلك إلا أن الأعتراف من قبل ضابط برتبة جنرال شكل ضربة كبيرة للأنتهاكات التى تقوم بها أمريكا فى العراق ، وكشف جانبا من طبيعة الدور الأسرائيلي الغامض فى العراق . وكان من الطبيعي أن يقوم ناطق باسم الخارجية الأسرائيلية بالنفي ، إلا أن الجنرال كاربينسكي كانت تدرك حجم المسئولية وهي تدلي بهذا الأعتراف ، ولم يتوقف الأمر عند كاربينسيكي بل إن الصحفي الأمريكي البارز الذي كشف فضيحة سجن أبوغربي سيمور هيرش أكد أن الأسرائيليين يشاركون فى التحقيقات فى العراق وقال لبرنامج " اليوم " فى محطة بي بي سي **ان معلوماته تؤكد وجود عملاء استخبارات اسرائيليين في العراق،**

وأضاف سيمور هيرش ان احد اهداف الاسرائيليين هو الوصول الى المعتقلين الذين كانوا أعضاء في جهاز الاستخبارات العراقية سابقا والذين كانوا يختصون في الشؤون الإسرائيلية.

و قد أخبرني الحاج علي القيسي صاحب الصورة الشهيرة للمعتقل المغطي الرأس والموصول جسمه بالكهرباء للتعذيب في سجن أبوغريب والذي أسس بعد خروجه " جمعية ضحايا سجون الأحتلال الأمريكي " في حوار أجريته معه في 9 مايو 2007 أن الذي حقق معه كان إسرائيليا يتحدث العربية ، وأبلغه أنه سبق وأن حقق مع معتقلين من منظمات فلسطينية ينتمون إلي حركة حماس والجهاد وغيرها ، وأنه رأي بعض المحققين يرتدون الطاقية اليهودية الصغيرة التى توضع علي الرأس ، وأن كثيرا من هؤلاء المحققين الأسرائيليين كان يهمهم بالدرجة الأولي التحقيق مع العلماء العراقيين والعسكريين الكبار المعتقلين للحصول منهم علي معلومات عن آخر ما قام به العراقيون في المجالات العملية والعسكرية .

كما تحدثت عشرات التقارير عن تواجد إسرائيلي فى شتي أنحاء العراق ربما سبق دخول القوات الأمريكية إليها ، لكن جيمي ميسي جندي المارينز فى كتابه " أقتل أقتل أقتل " أكد على وجود إسرائيليين مصاحبين لبعض الوحدات الأمريكية لاسيما فيما يتعلق بالأستخبارات والتدريب على حرب المدن والشوارع ، وقد اتبع الأمريكيون نفس التكتيكات والوسائل مع العراقيين ، فنهج زوار الفجر الذي يقوم به الأسرائيليون انتهجه الأمريكيون من البداية ، وفي تقرير نشرته وكالة أسيوشيتدبرس ونشر فى 16 يوليو 2005 ، رافق مراسل الوكالة دورية من الجنود الأمريكيين فى عمليات دهم يقومون بها لبيوت العراقيين بعد منتصف الليل ووصف واحدة من تلك العمليات التى يقوم الجنود بالمئات منها كل ليلة فقال : " إن الجنود يقومون بعمليات الدهم والتفتيش ترافقهم أحيانا دبابات وسيارات همفي ، ويكونون عادة فى حالة تأهب قصوي ، وأيديهم على أسلحتهم فى جاهزية عالية لأطلاق النار وهم على مقدمات دباباتهم ومؤخراتها ، فى حين يندفع اثني عشر جنديا إلي أحد المنازل المكونة من طابقين ويقتحمون بوابته الخارجية ثم الباب الرئيسي للمنزل بعنف شديد ليهشموه ويلحقوا به أضرارا كبيرة ، ثم يدخلون إلي بهو البيت يصحبهم مترجم عراقي ، يرتدي واقيا من الرصاص تحت ملابسه ليتولي استجواب عراقي وزوجته وكل منهما يحمل طفلا وسؤالهما عما إذا كانت

هناك أسلحة ثقيلة أو ممنوعة فى منزلهما ، وما إذا كانت لديهم معلومات عن متمردين مطلوبين محددين بعينهم "
ونقل المراسل عن الرقيب تشاد تشابمان قوله : " إن دوريته تغير على البيوت وتقتحمها فى الساعات الممتدة من منتصف الليل إلي آذان الفجر أثناء النوم ، وفي وقت لا يتوقع العراقيون دخوله مع زملائه إلي منازلهم ، وأنهم أثناء عملية التفتيش يقومون بتعطيل الهواتف النقالة عن العمل خوفا من استخدامها فى تفجير عبوات ناسفة عن بعد " .
ربما يكون أهل منزل مثل هذا محظوظين أن الجنود قاموا فقط بتحطيم البوابة دون تحطيم المنزل كله ، لكن فى شواهد سابقة روينا كيف أن الجنود يدمرون كل شيء بل يدمرون البيوت علي رؤوس من فيها من النساء والأطفال والعجائز ، وهذه الحوادث ليس مرتبطة بتواريخ التقارير بقدر ماهي منهج بدأه الجنود الأمريكيون منذ دخلولهم للعراق ، فقد ذكرت صحيفة " أندبندنت أون صنداي " البريطانية في عددها الصادر فى 12 أكتوبر 2003 أن " الجنود الأمريكيين يدمرون محاصيل المزارعين ، ويقودون الجرافات ، وهم يستمعون إلي موسيقي الجاز الصاخبة ، وهم يقتلعون أشجار النخيل التى يصل عمر بعضها سبعين عاما ، بالأضافة إلي أشجار الليمون والبرتقال فى وسط العراق ، في إطار سياسة العقوبات الجماعية للمزارعين الذين يرفضون الأدلاء بأسماء أفراد المقاومة ، وقال نصيف جسام ، وهو واحد من 32 مزارعا قامت القوات الأمريكية بإتلاف بساتينهم ، أن القوات الأمريكية قالت لهم : إن المقاتلين يختبئون فى وسط هذه الأشجار ، في حين ذكر مزارع آخر أن الأمريكيين أخبروهم عبر مكبرات الصوت باللغة العربية أن هذا الأجراء عقاب للمزارعين الذين لا يدلون بأسماء أعضاء المقاومة العراقية النشيطة فى تلك الضاحية السنية التى تبعد عن بغداد 75 كيلوا مترا " ، وكنت أنا شاهد عيان أثناء تغطيتي للأحداث فى العراق خلال أكثر من زيارة قمت بها بعد سقوط نظام صدام حسين علي ما قام به الأمريكيون فى كثير من المناطق التى ذهبت إليها في محافظات وسط العراق المختلفة ، فطريق بغداد الموصل الذي كانت تزينه جزيرة من الأشجار وعلي جانبيه بساتين الفواكه والحمضيات ، تم تدمير الجزيرة الوسطي به بالكامل وإزالة أشجار البساتين بعمق يصل إلي مائة متر من الجانبين تحاشيا للكمائن ، أما الطريق الذي كان يربط بغداد بالمطار والذي كانت به غابة من أشجار النخيل فقد تم تدميرها بالكامل أيضا ، وكما يقتلع الزيتون فى فلسطين يقتلع النخل فى العراق وبنفس الطريقة الأسرائيلية .
أيضا يقوم الأمريكيون بهدم منازل العراقيين بنفس الطريقة التى يقوم بها الأسرائيليون فى فلسطين فأي بيت علي الشبهة يتم تدميره ، وأي بيت تضبط فيه أسلحة أو متفجرات يتم تدميره وبقرار من قائد الدورية الأمريكية مباشرة ، وقد نقلت رويترز نموذجا لما يحدث فى تقرير نشر فى 4 ديسمبر 2003 عما حدث لعائلة فى بلدة الحويجة التى تبعد 45 كيلوا مترا عن كركوك ، وجاء فى التقرير " حين عثر الجنود الأمريكيون على متفجرات في منزل العجوز عزيز عبد الوهاب وزوجته المسنة بشري خلال غارة على بلدة الحويجة العراقية لوحوا على الفور ومن دون تردد بعقاب سريع هو : هدم المنزل ،

وتدفق مئات الجنود الأمريكيين من الفرقة 173 المجوقلة جوا على بلدة الحويجة فجر الثلاثاء 2 ديسمبر 2003 وافتحموا أبوابا وهدموا جدرانا ، واعتقلوا أشخاصا مشتبها بهم فى أكبر حملة دهم فى العراق منذ سقوط صدام حسين بحثا عن الرجل الثاني فى النظام العراقي عزة الدوري " وفي النهاية لم يجدوا الدوري لكنهم هدموا بعض البيوت لأناس بسطاء بينها بيت العجوز ، وقال اللفتاننت ستيف بريغنولي محاولا تبرير هدم المنزل البسيط المبني من الحجر وهو من طابق واحد والذي يملكه العجوزان ، " هذا المنزل بؤرة للأرهاب وإذا وفرتم مأوي للأرهاب سنزيلكم من المنطقة وبرر قرار الهدم بوجود صندوق يحتوي على ديناميت وأسلاك ومفاتيح كهربائية " ولما اعترض الرجل العجوز الذي تساقطت أسنانه ولم يكن قادرا على الكلام قال الجندي لأحد المترجمين بلهجة آمرة : " قل له أننا وجدنا متفجرات فى بيته تكفي لهدم الحي بأكمله ، وحينما جاءت الجرافة تكلمت المرأة وقالت إن المتفجرات تخص ابنها عادل لكن ذلك لم يشفع لها حيث هدم الجنود واجهة البيت " أما مئات البيوت الأخري فقد هدمت دون إنذار بل إن مدينة كاملة هي الفلوجة هدمت بالكامل ولازالت مغلقة حتى لا يشاهد العالم ما جري لها من همجية علي أيدي الهمجيين الأمريكان .

وكنت قد أجريت حوارا فى برنامجي التليفزيوني " بلاحدود " فى حلقة بثت بتاريخ 17 ديسمبر 2003 مع القاضي فى محكمة الجزاء الدولية فى لاهاي القاضي فؤاد عبد المنعم رياض ، تحدث فيها عن الأنتهاكات التى يقوم بها الأمريكيون فى العراق والتى تتعارض مع القانون الدولي والتشابه بين ما يقوم به الأسرائيليون فى فلسطين والأمريكيون فى العراق وأثناء الحوار عرضت فيلما تسجيليا أعددته مع مساعدي قسمنا فيه شاشة الجزيرة نصفين نصف نعرض فيه ما يقوم به الأسرائيلون فى فلسطين والنصف الثاني نعرض فيه الشيء المطابق الذي يقوم به الأمريكيون فى العراق مثل ترويع السكان بالهجوم على ا لمنازل ليلا ، وهدم البيوت ، وتجريف أشجار الزيتون والنخيل .

هذه الوسائل كلها إسرائيلية لكن الدور الأسرائيلي الكبير هو تدريب القوات الأمريكية على القيام بهذه المهام التى عادة لا تدرب عليها جيوش الميدان .

احتجاز الأطفال والنساء فى أبوغريب

لم تتوقف كاربنسكي عن فضح الجرائم التى ارتكبت فى سجن أبوغريب حينما شعرت أنهم يريدون استخدامها كبش فداء لكل ما ارتكب من جرائم أثبتت أنها كانت وفق أوامر عليا من كبار الجنرالات ، ففي 11 مارس 2005 ، قدمت الجنرال كاربينسكي المسئولة السابقة عن سجن أبوغريب أثناء التحقيق معها من قبل الجنرال جورج فاي وثائق تثبت أن القوات الأمريكية فى العراق كانت تحتجز أطفالا دون سن الحادية عشرة ونساء فى

سجن أبوغريب ، وقد حصل اتحاد الحقوق المدنية الأمريكية على هذه الوثائق ، وأجبرت كاربنسكي البنتاجون من خلال تلك الوثائق على الأعتراف بوجود أطفال معتقلين فى سجن أبوغريب غير أنه نفي تعرض أي منهم للأنتهاكات ، لكن كاربينسكي كانت قد أكدت أثناء التحقيق معها أن الجنود لطخوا فتي وهو ابن لواء سابق فى الجيش العراقي بالطين وأجبروا والده علي رؤيته وهو يرتجف ، وقالت كاربينسكي إنها دأبت خلال مسئوليتها عن السجن بين يوليو ونوفمبر 2003 على زيارة السجناء الصغار ، وأنها رأت طفلا سجينا بدا لو أنه كان فى الثامنة من عمره ، فأخبرها أن عمره 12 عاما وأن شقيقه معه فى السجن ، وقد بكي وهو يطلب منها السماح له بالأتصال بأمه ، وأكدت علي أن الجيش الأمريكي بدأ يحتجز النساء والأطفال في سجن أبوغريب منذ منتصف العام 2003 أي بعد الأحتلال الأمريكي للعراق مباشرة ، وقالت إنه : " في إحدي القضايا قال الشهود ، إن أربعة جنود أمريكيين لعبت الخمر برؤوسهم فأخرجوا صبية سجينة عمرها 17 عاما من زنزانتها وأخذوا يتحرشون بها " ، وكانت وكالة قدس برس للأنباء التى تبث من لندن ، قد تحدثت فى تقرير لها نشرته فى 30 يناير 2004 عن عمليات اغتصاب يقوم بها جنود أمريكيون بحق معتقلات عراقيات فى سجن أبوغريب ، وأن عددا من السجينات قد تم الأعتداء عليهم جنسيا من قبل جنود الأحتلال الأمريكي ، ونقل عن بعض النساء الائي تم الأفراج عنهم مؤخرا أن عددا من السجينات العراقيات قد تم اغتصابهم بقسوة ، خلال اعتقالهن فى سجن أبوغريب ، وقد أصدرت نساء تم الأفراج عنهن بيانا تحت عنوان " نداء استغاثة " مؤكدا أن بعض المعتقلات فقدن عذريتهن بل تحمل بعضهن فى أحشائهن أجنة جراء عمليات اغتصاب منسوبة إلي الجنود الأمريكيين ، وحث البيان " المسلمين والغياري والعلماء والمشايخ ورجال العشائر على الأسراع لنجدة المعتقلات فى سجن أبوغريب "

ولأن هذا الأمر من الأمور التى يتجنب العراقيون والمسلمون بشكل عام الحديث عنها لحساسيتها فإن كثيرين يتوقفون عند حد الحديث عن التحرش لكن يبدوا أن الأمر أكبر من ذلك بكثير ، وفي نفس الأطار نقلت وكالة رويترز في 5 يناير 2005 عن مجلة فانيتي الأمريكية روايات قيل لأنها لسجناء عراقيين أكدوا أنهم تعرضوا لانتهاكات جسدية وجنسية بعد ثلاثة أشهر علي الأقل من انكشاف فضيحة انتهاكات سجن أبوغريب مما يعني أن التعذيب لم يتوقف ، ونقل دونافان وبستر الكاتب فى المجلة الأمريكية فى تقريره أنه قضي 60 ساعة من المقابلات مع عشرة أشخاص بينهم صبي عمره خمسة عشر عاما ، كانوا محتجزين فى أبوغريب وتعرضوا للتعذيب من قبل جنود أمريكيين ولاعتداءات جنسية ، حيث عصبت عيونهم ، وضربوا وتعرضوا لصدمات كهربائية ووضعوا فى أقفاص وصناديق ، وأن هذه الأعتداءت التى تعرضوا لها وقعت فى شهر يوليو 2004 أي بعد ثلاثة أشهر من كشف فضيحة سجن أبوغريب التى أعلن عنها في شهر إبريل من العام 2004 .

صرخة أم عراقية

أثناء تغطيتي لحروب أفغانستان والبوسنة والهرسك والعراق كان الجانب الأنساني يأسرني دائما ، فأسوأ ما في الحروب ليس تدميرها للقري والمدن فهذه يعاد بناؤها ، ولكن أسوأ ما فيها هو تدميرها للأنسان ، وقد لاحظت مع كثرة التقارير الأخبارية سواء التليفزيونية أم الصحفية التى تقدم عن الحرب فى العراق أن الجانب الأنساني بأعماقه يكاد يغيب عنها ، قليل من الصحفيين والمراسلين من يحاول الدخول إلي النفس الأنسانية وإلي أعماق الأنسان العراقي ليكتشف حجم ومقدار الجريمة التى ارتكبت فى حقه وحجم الدمار الذي لحق بأركان نفسه وجوانبها .
في يوم من أيام شهر فبراير من العام 2007 استوقفتني في مطار عمان في الأردن سيدة عراقية في نهاية العقد الرابع من عمرها ـ وكانت معها ابنتها علي أعتاب الشباب ـ فقالت المرأة لي : لماذا لا تعكسون فى برامجكم وأخباركم الجانب الأنساني لنا في العراق لاسيما للنساء ، أنا اعتقلت من القوات الأمريكية وقضيت ستة أشهر فى سجن أبوغريب ، وابنتي هذه الصغيرة اعتقلت وقضت شهرا في السجن وهناك مئات النساء العراقيات الأخريات لازلن فى السجون الأمريكية والعراقية ربما منذ بداية الأحتلال ، ولايتحدث أحد عما يعانين من مآسي ، وكأن الأمة لم يعد بها نخوة أو غيرة أو رجال ، ورحم الله المعتصم ، ربما أعانني الله وخرجت صلبة في ظاهري علي الأقل من سجني ومحنتي ، لكن ابنتي هذه واجهت صدمة شديدة وهي في مقتبل عمرها وأصبحت ـ كما تراها ـ مثل أطلال امرأة هرمة رغم أنها من المفترض أنها لم تبدأ حياتها ، ولعلك تذكر أنه حينما كشفت فضيحة سجن أبو غريب هاج العالم وماج ، ثم خفت كل شيء وانتهي بعد أيام وكأن سجن أبوغريب قد أغلق ، وكأن من ارتكبوا ويرتكبون الجرائم فيه قد توقفوا ، رغم أن كل شيء علي ماهو عليه لم يتغير شيء سوي أن الناس والعرب والمسلمين تحديدا قد صمتوا ، التعذيب والأنتهاكات التى تحدث علي أيدي القوات الأمريكية أو علي أيدي القوات الحكومية الموالية لها لا تخطر علي بال أحد ، ومن الصعوبة أن تروي ، ولو رويت ربما لا يصدقها الناس ، إنني في طريقي لحضور أحد المؤتمرات لأروي تجربتي وتجربة ابنتي إلي بعض من أرادوا سماعها ربما تلامس آلامي وآهاتي وجراحي أسماع أحد من هؤلاء الصامتين أو الراقصين علي جراحنا ، وسوف أفضح الأمريكيين وعملاءهم وأفضح أفاعيلهم ، و ربما أخفف بما أقوم به ولو قليلا عما تعانيه نساء العراق الأسيرات لدي الأمريكيين أو القوات الحكومية الموالية لها ، ما ذنب ابنتي وآلاف مؤلفة مثلها ممن لا يكدن يغادرن طفولتهن حتى يمروا بتلك الصدمة القاسية التى تركتها حطاما كما تراها ؟ ماذنب الأمهات والأخوات والبنات اللائي يلقين فى السجون لأنهن يردن وطنهن حرا خاليا من المحتل ؟ إن الأمريكيين هم الذين بغوا علينا واحتلوا بلادنا وقتلوا أبناءنا وأزواجنا وآباءنا أو اعتقلوهم ؟ لم يعد أحد آمن فى بلادنا ، إنني أتمني من كل كاميرات الدنيا أن تأتي

وتسجل تلك الآلام التى نعيشها كأمهات عراقيات ، وكيف أصبحت الواحدة منا تصبح وهي لاتدري من الذي سوف يمسي حيا من عائلتها ، وتمسي و هي لا تدري من الذي سوف يبقي حيا أو غير معتقل من أسرتها ، إنني أتألم وكل أمرأة فى العراق تتألم وكل عائلة تتألم وألمنا الذي سببه المحتل أصبح فى كل شيء ، وأسوأ آلام الحياة هو الخوف وعدم الأمن ، والأسوأ منه الوضع الأقتصادي المتردي ، فالأمهات في كثير من الأحيان لا يعرفن ماذا وكيف يطعمن أطفالهن ، وفرق الموت تنشر الموت والخراب والدمار فى كل مكان ، ولا تفرق بين طفل وشيخ وامرأة ، والقوات الأمريكية تظل تحاصر بعض أحياء بغداد لعدة أيام لا يستطيع أحد خلالها أن يخرج من بيته بحجة إلقاء القبض علي مسلحين ، وهم في الحقيقة يحاصرون نساءا وأطفالا وشيوخا وقلة من الشباب الذين يدافعون عن أنفسهم وعائلاتهم من عمليات التطهير المذهبي والعرقي التى يعيشها سكان بغداد ، لم نعرف الطائفية إلا بعد الأحتلال ، لم نعرف الخوف وعدم الأمن بهذا الشكل المرعب إلا بعد الأحتلال ، لم نعرف الجوع والعوز والفاقة إلا بعد الأحتلال ، لقد كنا نعيش حياة رغدة قبل ستة عشر عاما ، وكانت عملتنا تساوي أكثر من ثلاثة دولارات ، وكنا لا نعرف شيئا عن تلك الآلام التى نعيشها الآن والتى أنستنا كل نعيم عشناه .

ظلت المرأة تتحدث وأنا أنصت دون تعليق حتى أعلن المضيف الداخلي في مطار عمان عن النداء الأخير علي رحلتي المتجهة إلي الدوحة ، لم أستطع أن أقول لها أريد أن ألحق بطائرتي فقد كنت مختنقا من الدموع التى كانت تغالبني وخشيت أن أتكلم فأنفجر باكيا ، لكنها استدركت و قالت لي : أعرف أني قد أطلت عليك ولا أريد أن أؤخرك عن طائرتك ، ولكني أستحلفك بالله الذي جمعنا علي غير موعد أن تنقل تلك الصرخة .. صرخة أم عراقية إلي الأمة ربما تصادف صرختي لدي أحد منهم نخوة المعتصم .

عودة إلي الجنرال كاربينسكي

وإذا عدنا إلي الجنرال كاربينسكي نجد أنها أضافت فى التحقيقات التى أجراها معها الجنرال جورج فاي ، إن ضباط الأستخبارات الأمريكية أعدوا اتفاقية لاحتجاز المعتقلين العراقيين دون تقديم أرقام ، وقد اعترف البنتاجون بذلك وأطلق علي هؤلاء المعتقلين عبارة " المعتقلون الأشباح " علي أساس أنهم مقاتلون ، و بالتالي لا يحصلون على وضع أسير الحرب ولا حقوقه ، وأضاف كاربينسكي أن القادة العسكريين الأمريكيين كانوا يخشون إطلاق سراح المعتقلين فيما وصفته " برهاب الأفراج " ، وأشارت إلي أن الجنرال والتر وودكوفسكي الذي احتل المركز الثاني فى القوات الأمريكية حينئذ طالبها فى صيف العام 2003 ، بألا تطلق سراح المزيد من المساجين العراقيين حتى لو

كانوا أبرياء ، وقالت : " لقد قال لي :إنني لا آبه لو احتجزنا 15 ألفا ، فقد انتصرنا فى الحرب " .
وقد ورطت تلك الأعترافات الأدارة الأمريكية مما دفع اتحاد الحريات المدنية الأمريكي ، إلي مقاضاة وزير الدفاع دونالد رامسفيلد نيابة عن أربعة عراقيين وأربعة من الأفغان قالوا إنهم تعرضوا للتعذيب على أيدن الأمريكيين ، لكن رامسفيلد الذي اتهم فى تقرير أعده المفتش العام للجيش الأمريكي فى ديسمبر 2005 تحت عنوان " ماكان يعرفه رامسفيلد " ونقلته رويترز عن مجلة " صالون " في 15 إبريل 2006 أن رامسفيلد وافق على عمليات تعذيب ارتكبت فى جوانتاموا " ومن ثم فإن بعض المراقبين لا يستبعدون أن تكون عمليات التعذيب فى أبوغريب والعراق لاسيما وأنها تمت بأوامر من جنرالات كبار قد تمت بأوامر منه أو على الأقل تحت إشرافه .
ورغم أن المحاكم العسكرية الأمريكية قد أدانت بعض المجندين وصف الضباط بتهم ارتكاب التعذيب إلا أن هذا كان للتغطية على الكبار الذين فضحتهم الجنرال كاربينسكي .

بوش يعاقب الجنرال كاربينسكي

رغم أن التحقيقات التى أجريت مع الجنرال كاربينسكي لم تنته إلي إدانتها وأصدر الجيش الأرمريكي بيانا فى 6 مايو 2005 قال فيه " **"بالرغم من أن أداء العميد . أول درجة من درجات الجنرال الأربع . كاربينسكي في الخدمة كان قاصرا فإن التحقيق أثبت أنها لم ترتكب تصرفا أو تقصيرا ساهم بشكل مباشر في فضيحة انتهاكات المعتقلين في أبوغريب" .لكنهم سعوا لتشويه سمعتها باتهامها بالقيام بسرقة مواد تجميل من متجر في قاعدة جوية وعدم القيام بإبلاغ رؤسائها بالحادث ، لكن الأخطر كان هو تبرئة الكبار الذين اتهمتهم كاريينسيكي بالمسئولية المباشرة عن عمليات التعذيب وعلي رأسهم الجنرال ريكاردو سانشيز ، القائد السابق للقوات الأمريكية فى العراق وثلاثة من كبار مساعديه ، وهم الذين اتهمتهم كاربينسكي بالمسئولية المباشرة عن تلك الجريمة ، وقد أعلن البنتاجون أنه تم اتخاذ إجراءات تأديبية بحق خمسة من الضباط لم يعلن أسماءهم بالأضافة إلي كاربينسكي ، لكن الرئيس الأمريكي بوش الذي فضحته كاربينسكي وفضحت إدارته لم يقبل بمجرد الأجراءت التأديبية ، فأصدر قرارا فى 6 مايو 2005 يأمر فيه بتخفيض رتبتها من عميد إلي عقيد .**

وقال الجيش الأمريكي الذي برأ في بيانه كاريبنسكي من ألتورط فى فضحية سجن أبوغريب إن العميد كاريبنسكي مذنبة بهجر الخدمة ومتهمة بإخفاء حادثة اعتقال تتعلق بسرقة من متجر .

لكن كاريبنسكي التى تعتبر أعلي رتبة عسكرية أمريكية يتم عقابها فى فضحية سجن أبوغريب إنها حولت إلي " كبش فداء مناسب " للأوامر التى أصدرها الآخرون .

لكن الجيش الأمريكي لم يتوقف عن كاريبينسكي ويبدوا أنه كان يسعي للبحث عن كبش فداء آخر بعدما أعلن العريف تشارلز غريننر الذي حمل مسئولية التجاوزات ونال أقصي عقوبة وقدرها عشر سنوات أنه كان ينفذ أوامر الأستخبارات العسكرية ، وهو توريط كامل للأدارة كلها ، لذلك أعلن الجيش الأمريكي في 28 إبريل 2006 عن تحويل الكولونيل ستيفن جوردان (51 عاما) إلي المحاكمة بتهمة إساءة معتقلين فى سجن أبوغريب ، ويعتبر بذلك جوردان هو أعلي رتبة عسكرية أمريكية تحول للمحاكمة فيما يتعلق بأبوغريب ، وقد كان جوردان مسئول سابق عن التحقيق فى سجن أبوغريب ، وهو متهم بإرغام المعتقلين على التعري وتهديدهم عبر استخدام الكلاب المدربة علي الهجوم ، ووجهت له أيضا تهم الأخلال بالواجب والكذب على المحققين والتصرف بشكل غير لائق بضابط ، وتصل عقوبة هذه التهم إلي 42 عاما ، ومثل جوردون أمام المحكمة في جلسة تمهدية بعد ثلاث سنوات علي كشف الفضيحة وذلك فى 16 مايو 2007 ، وخلال المحاكمة التى عقدت فى المحكمة العسكرية فى فورت ماكنير فى واشنطن قال محاموه إن المحققين لم يبلغوا مولكهم بكل حقوقه ، وقد قبل رئيس المحكمة القاضي ستيفن هينلي هذه الحجة من المحامين وخفض مدة العقوبة التى يمكن أن تفرض علي المتهم من 22 عاما إلي 16 عاما ونصف العام وأرجئت المحاكمة إلي العشرين من أغسطس 2007 ، لكن محاكمة جوردون قد تكون للتغطية علي المتهمين الحقيقين وهم كبار الضباط في إدارة بوش وعلي رأسهم وزير دفاعه السابق دونالد رامسيفلد الذي رفع تسعة من المعتقلين العراقيين والأفغان دعون ضده أمام محكمة فيدرالية أمريكية فى آذار مارس 2007 بتهمة التعذيب ، لكن القاضي الفيدرالي رفضها ، هذا ما دفع المحامية فى منظمة " هيومن رايتس فرست " بريتي باتل إلي عدم التوقف عند محاكمة جوردان فقط وقالت " يجب علي

القضاء ألا يتوقف عند هذا الحد .. إن رامسفيلد يتحمل مسئولية إعطاء أوامر أدت لارتكاب أعمال تعذيب وإساءة معاملة معتقلين فى العراق وغيره " .

لذلك فإن جريمة فضيحة سجن أبوغريب وما قام به الأمريكيون ستبقي كما وصفها بوش نفسه في مايو 2006 بأنها " أكبر خطأ ترتكبه الولايات المتحدة في العراق " ، لكنها في عرف كثير من المراقبين ليست مجرد خطأ ولكنها واحدة من جرائم أمريكا الكبري فى العراق ، تلك الجرائم التى من بينها أيضا نهب أموال العراق .

نهب أموال العراق

حجم التقارير التي تصدرها المنظمات واللجان الدولية والتى تتحدث عن عمليات النهب المنظم لأموال العراق يزداد عددها يوما بعد يوم فخلال الأسابيع الستة من بداية يناير 2005 إلى منتصف فبراير2005 ظهرت فضائح وتقارير كثيرة من أبرزها ما أعلن فى بداية فبراير عن فضيحة برنامج " النفط مقابل الغذاء " الذي تورط فيه بنيون سيفان الذي عين مديرا للبرنامج مع بداية تنفيذه فى العام 1997 حيث أكد التقرير علي نهب عشرات الملايين من الدولارات من أموال الشعب العراقي ، وسرعان ماخفت الحديث عن التقرير بنفس سرعة الضجة التى أثارها مع تحليلات كثيرة تشير إلى مساع تتم للتسوية من وراء الكواليس قبل أن يتم النشر النهائي فى منتصف العام 2005 للتقرير الذي يقع فى 219 صفحة والذي أعدته لجنة مستقلة برئاسة الرئيس السابق لمجلس الأحتياط الفيدرالي الأمريكي بول فوكر .
وجاء هذا التقرير الذي أدان مسئولا كبيرا فى الأمم المتحدة هو بينون سيفان الذي التحق بالأمم المتحدة فى العام 1965 ولازال يعمل مستشارا بعد خروجه للتقاعد ليرد يبدو على تقارير كثيرة أصدرتها جهات عديدة ولجان مراقبة تابعة للأمم المتحدة تثبت تورط قوات الأحتلال الأمريكية وسلطة التحالف بإهدار ونهب مليارات الدولارات من أمول العراق .
ففي عدد الأسبوع الأخير من يناير 2005 كشفت مجلة " التايم " الأمريكية أن سلطة الأئتلاف المؤقتة التى كان يقودها الأمريكي بول بريمر تركت مبالغ كبيرة من أموال العراق معرضة لعمليات احتيال ورشوة واختلاس ، واتهم مراقبوا حسابات تابعين للأمم المتحدة سلطة التحالف المؤقتة التى كان يقودها بريمر بالأهمال فى إدارة مليارات الدولارات من أموال النفط العراقي ، وكشف تقرير محاسبي أمريكي استندت إليه مجلة " التايم " أن السلطة التى كانت تقودها الولايات المتحدة فى العراق بعد احتلاله فى إبريل عام 2003 ، لم تتوخ الحذر كما ينبغي فى ما يتعلق بإنفاق 8‘8 مليار دولار من

أموال العراق وأشارت تقارير أخري للجان تحقيق تابعة للأمم المتحدة إلي أن هذه الأموال " مفقودة " ، وتم استدعاء بريمر للشهادة أمام إحدي لجان الكونجرس فى فبراير من العام 2007 لسؤاله حول هذا المبلغ الذي اختفي ولا يعلم أحد ذهب ، والمبلغ ليس مليون دولار ولكنه 8,8 مليار دولار .
غير أن التحقيق الأذاعي الذي بثته القناة الأذاعية الرابعة فى محطة " بي بي سي " في لندن عبر برنامجها الشهير " فايل أون فور " والذي نقلت صحيفة " الحياة " التى تصدر فى لندن بعض ما جاء فيه فى 8 فبراير 2005 كان من أقوي التقارير التى تحدثت عن عمليات النهب المنظم التى تتم لأموال العراق تحت الرعاية والمسئولية الأمريكية ، فقد كشف التقرير عن نهب 20 مليار دولار من أموال العراق وثرواته ، وأظهر التحقيق الأذاعي من خلال شهادة مدققي حسابات انتدبتهم الأمم المتحدة أن العراق هو البلد الوحيد المنتج للنفط فى العالم الذي لم تستخدم فيه سلطات التحالف عددات لقياس كميات النفط المستخرجة والمصدرة وتسجيلها وأن النفط العراقي لا زال يضخ دون عدادات ولا أحد يدري على وجه الدقة جحم أو كميات النفط المنتج أو المصدر
وفي هذا التحقيق الأذاعي تحدث الكولونيل تشارلز كرون وهو ضابط أمريكي كان ناطقا باسم قوات التحالف فى العراق وقال :" إن قوات التحالف بصفتها قوة احتلال كانت مسئولة عن ثروة العراق وأنها استولت على مبالغ نقدية كبيرة منها مبلغ واحد يترواح بين 700 مليون و800 مليون دولار كانت لصدام وجماعته لا أدري ما حصل لها "
وقال معد البرنامج جيري نورثام أن قوات التحالف نقلت فجأة بأمر من مجلس الحكم المؤقت فى الأيام الأخيرة من عمر المجلس في صيف العام 2004 مبلغ 1,4مليار دولار من بغداد إلي الحكومة الكردية الأقليمية فى أربيل فى شمال العراق وأن مصير هذا المبلغ بات لغزا .
ولعل اللغز الأكبر هو فى التقارير الكثيرة التى تحدثت عما تقوم به شركات أمريكية كثيرة فى العراق وعلى رأسها شركة هاليبرتون التى كان يديرها نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني وحتى العام 2000 تلك ا لتقارير أكدت علي أن جحم تعاقداتها زادت عن العشرة مليارات دولار ، حتى أن الديمقراطيين اتهموا نائب الرئيس ديك تشيني بأنه شن الحرب لتحقيق أهداف اقتصادية ، وكانت محطة " إن بي سي " التلفزيونية الأمريكية قد قدمت برنامجا تلفزيونيا حول هذا الموضوع بثته فى 3 نوفمبر من العام الماضي 2004 تحدثت فيه بوناتين غرينهاوس أكبر مسئولة عن التعاقدات فى سلاح المهندسين فى الجيش الأمريكي حيث قالت : " إن ما حدث سوء إدارة صارخ وأنا أطالب بتحقيق فى هذه العقود " ، وقالت غرينهاوس إنها خضعت لضغوط مختلفة من قبل رؤسائها من أجل أن تحصل شركة " كيلو بروان أند روت " أحد فروع شركة هاليبرتون العملاقة على عقود تبلغ قيمتها عدة مليارات من الدولارات .
أما صحيفة الجاريان البريطانية فقد نشرت تقريرا فى الأول من مايو عام 2006 قالت فيه إن لجنة فى الكونجرس الأمريكي تناقش تقريرا حول مشروعات تعمير العراق ،

وحجم الأموال المهدرة التى تمت هناك ، وقد احتوي التقرير على انتقادات لاذعة للمقاولين وغالبيتهم من الأمريكيين متهما إياهم بهدر مئات الملايين من الدولارات ، وضرب مثالا على حالة واحدة ، حيث أنه وبعد مرور ثلاث سنوات على احتلال العراق ، لم يتم إنجاز سوي ثلاثة مراكز صحية فقط من بين 150 مركزا تم التعاقد علي إنشائها مع مقاول أمريكي رغم حصوله على 75% من مبلغ 186 مليون دولار كانت مخصصة لهذا الغرض ، وأشار البيان إلي أن 67% من المبلغ المخصص لأعادة إعمار العراق وهو 21 مليار دولار قد تم صرفها .

وجاء فى تقرير أعده الجنرال ستيوارت باون المفتش الأمريكي الخاص بعمليات إعادة إعمار العراق ، نشرته صحيفة " واشنطن بوست " فى الأول من مايو 2006 أن برنامج " تاسك فورس شيلد " الذي وضعته الولايات المتحدة ومسئولون عراقيون فى سبتمبر 2003 لحماية المنشآت البترولية ومحطات الكهرباء ، فشل فى تحقيق مهمته بسبب غياب الأدارة والهيكلية الواضحة ، واعترف التقرير بأنه ضمن 900 حالة فساد تم التحقيق فيها فإن ما تم إحالته لللقضاء لم يزد عن 60 حالة فقط ، كما أن المانحين الذين تعهدوا بتقديم أكثر من 13 مليار دولار لأعادة إعمار العراق في مارس 2003 لم يقدموا فعليا حتى الآن سوي أربعة مليارات فقط ، وأشار التقرير إلي أن الفساد وسوء الأدارة وعمليات النصب والأحتيال وغياب وسائل المساءلة وراء سوء مستوي الخدمات لاسيما في قطاعي النفط والكهرباء حيث يقف العراقيون فى بلد النفط طوابير طويلة للحصول على البنزين لسياراتهم بينما تنقطع الكهرباء يوميا وبشكل منتظم عن معظم المدن كما يعاني العراقيون من الحصول على المياة النظيفة الصالحة للشرب .

وفي يوم الخميس 8 فبراير 2007 فجرت صحيفة " الجارديان ط البريطانية فضيحة من العيار الثقيل حينما نشرت تقريرا مثيرا تحت عنوان " كيف شحنت الولايات المتحدة 12 ميليار دولار إلي العراق وشاهدتها وهي تتلاشي " ، وجاء فى التقرير الذي كتبه ديفيد باليستر ، " إن واشنطن أرسلت بعد عام من احتلال العراق عام 2003 حوالي 281 مليون ورقة مالية تزن 363 طنا من نيويورك إلي بغداد لمصاريف الوزارات العراقية والمقاولات الأمريكية ، واستخدمت فى شحنها طائرات النقل العملاقة من طراز سي 130 مرة أو مرتين شهريا ، وكانت أكبر شحنة بمبلغ مليارين و401 مليون دولار وكان ذلك فى 22 يونيو حزيران من العام 2004 ، وقد كشف الستار مؤخرا عن تلك الشحنات المالية الهائلة بعد أن أن كشفت عنها إحدي لجان الكونجرس المكلفة فحص نفقات إعادة إعمار العراق " وأشار التقرير المثير إلي أن مسئولا معينا منح مبلغا مقداره 6 ملايين و760 ألف دولار ، وقيل له إنه يستطيع إنفاقها خلال أسبوع " دون حسيب أو رقيب أو مراجعة ، لكن المثير فى الأمر أن التقرير أشار إلي كبار المسئولين الأمريكيين لا يلقون بالا إلي تقرير الكونجرس ولا يهتمون به لسبب بسيط هو أن هذه الأموال ليست من أموال دافعي الضرائب الأمريكية التى يمكن أن يحاسب عليها المسئولون فى الحكومة الأمريكية وإنما هي أموال عراقية كانت الحكومة الأمريكية تتحفظ عليها فيما عرف بـ " مؤسسة تنمية العراق " وذلك للأنفاق منها علي العراق نيابة

عن العراقيين ، وهكذا كانت تنهب وتبدد أموال العراق والعراقيين ولكن من يحاسب الأمريكيين علي ما قاموا به ؟ .

جرائم الجنود في النهب والسرقة

ما أشرنا له سابقا هو ما يقوم به الكبار لكن إذا كان الكبار يسرقون فإنهم يغضون الطرف عما يقوم به الجنود والضباط من عمليات السرقة والنهب المباشرة من العراقيين أنفسهم ، وقد أعترف مايسي فى كتابه بكثير من عمليات السرقة التى كان يقوم بها الجنود الأمريكيون من بيوت العراقيين ، وقد كتبت عشرات التقارير التى تتحدث عن أساليب وضيعة وخسيسة يمارسها الجنود الأمريكيون فى السرقة ، وقد روي لي عراقيون كيف أن الجنود ينهبون حينما يقومون بتفتيش المنازل كل شيء ثمين حتى ما يتلعق بالهدايا العائلية التاريخية القيمة التى تتوارثها الأجيال ، وتصل الحقارة بالجنود الأمريكيين إلي نهب كل الأموال التى يجدونها فى السيارات أثناء تفتيشها ، ففي 4 أغسطس 2003 نشرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية تقريرا قالت فيه إن الأمريكيين يصادرون كل الأموال التى يجدونها فى يد العراقيين لأنهم لا يتخليون أن يملك الناس أموالا نقدية وسائلة مثل التى يجدونها في يد العراقيين ولبيان مستوي المستنقعات التى جاء الأمريكيون بجنودهم منها نقلت عن جندي أمريكي برتبة عريف سئل عن عمليات مصادرة أموال العراقيين أو نهبها قوله : " من أين يستطيع عراقي أن يحصل على ثلاثة آلاف دولار أنا نفسي لا أستطيع أن أحصل على هذا المبلغ " ، كما نقلت عن بائع خضار عراقي يدعي إبراهيم مهدي أن الأمريكيين عندما داهموا منزله فى إبريل 2003 أي مع بداية الغزو صادروا مدخراته التى كانت تقدر بألفي دولار وكان ذلك فى حضور شهود بينهم المترجم ، ونقل التقرير عن إليزابيث هودغين ممثلة منظمة العفو الدولية أن الكثير من الناس يشكون من أن الأمريكيين قد أخذوا منهم أموالا باهظة يصل بعضها لثلاثين ألف دولار لكنهم يعتقدون بأنهم لن يرون أموالهم بعد ذلك ، في 25 مايو 2004 نشرت وكالة رويترز تقريرا من بغداد جاء فيه " أن الجنود الأمريكيين يسرقون كل شيء من بيوت العراقيين أثناء تفتيشها الأموال والمجوهرات والمقتنيات الخاصة والنفيسة ، والمدخرات ، وكل شيء يمكن أن يسرق " وقد اكتفي متحدث باسم التحالف فى الرد علي هذه الأتهامات بقوله " إن بعض الجنود قد تعرضوا للتأديب بسبب هذا السلوك ، " وفي تقرير نشرته صحيفة " نيويورك تايمز فى 30 مايو 2004 قالت فيه إن الجيش الأمريكي يحقق فى قضايا سرقة قام بها الجنود الأمريكيون فى العراق قاموا خلالها بتجريد المدنيين العراقيين عند الحواجز الأمنية وعند تفتيش بيوتهم من أموالهم ، ومجوهراتهم ، ونقلت الصحيفة عن محققين فى الصليب الأحمر أن الجنود الأمريكيين قاموا فى 13 سبتمبر 2003 باعتقال تسعة عراقيين فى فندق بمدينة البصرة ، وتم خلالها إهانتهم وضربهم ثم استولي الجنود على أموالهم ، وأذكر وأنا في رحلاتي المتعددة للعراق كيف كان السائقون الذين كنت أسافر معهم يتفننون في إخفاء

الأموال في السيارات لأن الأمريكيين باختصار شديد يقومون بنهب أي أموال يعثرون عليها فى السيارات عند نقاط التفتيش التى يقفون عليها .

جرائم الأحتيال والرشوة

ومن الطبيعي أن تصاحب عمليات النهب والسرقة كثير من الجرائم الأخلاقية الأخري مثل الأحتيال والرشوة وغسيل الأموال ، وقد نشرت رويترز تقريرا فى 3 ديسمبر 2005 عن اعتقال اللفتانتت كولونيل مايكل ويلر المتهم بالتورط فى عمليات رشي وغسيل أموال واحتيال حينما كان يعمل فى العراق فى الفترة بين عامي 2003 و2004 مسئولا عن طرح المناقصات وإبرام العقود إعادة الأعمار لصالح سلطة الأتحالف المؤقتة فى ا لمنطقة الجنوبية الوسطي حيث اتهم بسرقة أموال من سلطة التحالف والأختلاس والتآمر ولم يكن ويلر الوحيد بل كان واحدا من سلسلة كبيرة من اللصوص الأمريكيين الذين نهبوا خيرات العراق من خلال عملهم مع الجيش الأمريكي ومن بين الضباط الذين أعلن عن اعتقالهم بتهم مماثلة روبرت ستاين وفيليب بلوم .

إن ما عرف ليس سوي قليل من كثير لعملية وصفها مراقبون كثيرون بأنها " أكبر عملية نهب منظم فى التاريخ " .

نهب نفط العراق

علاوة علي الأموال هناك نهب منظم لنفط العراق ، ففي إطار الجرائم الكبري التى قامت بها أمريكا فى العراق جاء قرار الحكومة العراقية فى نهاية شهر فبراير من العام 2007 بتوزيع عوائد النفط بالمحاصصة على الأقاليم السكانية ليؤكد أن مسيرة نهب نفط العراق التى قامت من أول يوم للأحتلال الأمريكي تسير علي قدم وساق ، فخلف الحرب الدائرة علي مختلف الجبهات فى العراق حرب أخري خفية هي حرب النفط ، حيث سبق للرئيس الأمريكي جورج بوش الأبن إشارته في الثاني من نوفمبر 2006 أثناء الحملة الأنتخابية للأنتخابات التشريعية الأمريكية علي أن الأحتلال الأمريكي للعراق يرمي إلي شيئين الأول هو حماية أمن إسرائيل والثاني هو السيطرة علي منابع النفط حتى لاتقع في أيدي المتطرفين الأسلاميين ، ومعركة النفط

في العراق تدور علي محاور عديدة من أهمها قانون النفط الجديد الذي حول للبرلمان العراقي لأقراره ، وقد وصفت صحيفة الأندبندنت البريطانية في عدد 7 يناير 2007 هذا القانون بأنه " أكبر مؤامرة لنهب نفط العراق " حيث يعطي شركات النفط الأمريكية والبريطانية مثل شل وأكسون موبيل وبريتش بتروليوم الحق فى السيطرة علي 75% من أرباح النفط ولعشرات السنين فيم لا يجني العراقيون إلا الفتات ، وسوف تصبح ملكيتهم للنفط إسميه فقط ، وقد أثار هذا القانون غضبا كبيرا لدي الوطنيين من العاملين فى قطاع النفط فى العراق وفي 8 فبراير 2007 عقد اتحاد نقابات العمال فى شركة نفط الجنوب مؤتمرا فى البصرة حضره أكثر من خمسمائة من المعنيين بشئون النفط ، وحذروا الشركات الأجنبية من الدخول إلي مواقع عقود تقسيم الأنتاج و وصفوا من يسعون لأقرار القانون بأنهم " نخبة من العملاء " يسعون لتقديم الثروة النفطية العراقية إلي أسيادهم من الشركات الأحتكارية ، ولأن 85% من نفط العراق يصدر من الجنوب فإذا قام العاملون فى نقابات العمال في شركة نفط الجنوب بتنفيذ تهديداتهم ، فسيكون من المتوقع مواجهة كبيرة بينهم وبين الشركات الأحتكارية التى يبدوا أنها قادمة لا محالة وأن القانون سيتم الأعلان عن تطبيقه فى أي لحظة ، ويأتي هذا القانون فى ظل عمليات نهب منظم تتم لنفط العراق منذ أول يوم للأحتلال ، ففي شهر أغسطس من العام 2006 قامت مؤسسة أرنست أند يونغ المحاسبية الدولية بعمل تقرير لحساب المجلس الدولي للأستشارات والمراقبة التابع للأمم المتحدة عن صادرات النفط العراقية للنصف الثاني من العام 2005 أي حسابات ستة أشهر فقط أثبت التقرير حجما هائلا من الفساد والتهريب للثروة النفطية وجاء فيه : " ليس هناك مسئول تنفيذي واحد يدير أنشطة الحساب الخاص وليس هناك نظام مراجعة داخلي للحسابات وليس هناك نظم كافية لمنع التحويلات غير المصرح بها للأموال ، وسوء الأدارة ترك الباب مفتوحا أمام التهريب والفساد ، أما المفتش الأتحادي الأمريكي دافيد وللكر فقد قال في شهادة أدلي بها أمام الكونجرس الأمريكي فى 17 يوليو 2006 أن : " وزارة النفط العراقية تعاني من فساد كبير وسرقات " ، وأن الأمر لم يتطلب منه سوي ثانية ونصف للتعرف علي حجم الفساد الكبير الدائر فى وزارة النفط العراقية ، أما تقرير الشفافية الثالث الذي أصدره المفتش العام في وزارة النفط العراقية فى شهر نوفمبر من العام 2006 فقد قال فيه " إن الخسائر النفطية للعراق بلغت منذ بداية العام 2004 وحتى صدور التقرير 24 مليار دولار " ، هذه المعلومات وردت فى تقارير رسمية وهي عادة ما تكون مجاملة ولا تشير إلي الحقيقة بكل مرارتها ، والفضيحة الكبري أن عملية نهب نفط العراق تتم برعاية الأحتلال بل وتحت سمعه وبصره ، وبتعاون تام من العراقيين الذين جاء بهم الأحتلال علي ظهور الدبابات والطائرات حتى يحكم بهم العراق ، وألأدهي من ذلك هو عمليات التهريب التى تتم من البصرة برعاية المحتلين فقد نشرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية تقريرا فى 4 يوليو 2006 قالت فيه إن مدينة البصرة التى

كانت يوما مدينة وادعة آمنة أصبحت الآن تشبه فى تفاصيلها الجديدة صراعات المليشيات والعصابات التى سيطرت علي مدينة شيكاغو الأمريكية فى العشرينيات ، وأن البصرة الآن تشهد صراعا بين المليشيات علي تهريب النفط حيث أصبحت البصرة أكبر مركز لتهريب النفط العراقي ، وأكدت الصحيفة أن هناك شبكة جريمة دولية تقوم بعمليات التهريب بشكل مفضوح وأن قيمة البترول المهرب تصل إلي أربعة مليارات دولار وهو ما يوازي عشرة بالمائة من الناتج الوطني العراقي .
و فى منتصف شهر مايو من العام 2007 اندلعت مواجهات عنيفة فى البصرة بين الفصائل الشيعية من أجل السيطرة علي ثروتها النفطية الهائلة ، وقد وصفت وكالة رويترز ما يدور فى تقرير بثته فى 16 مايو بأنه يحمل كل عناصر أفلام العصابات التى تدور حول مدينة شيكاغو الأمريكية فى العشرينيات ، في نفس اليوم بثت رويترز تقريرا آخر نقلا عن مكتب المحاسبة فى الحكومة الأمريكية يقول بأن " التهريب والسرقة يحرمانه من نحو 15 مليون دولار من عائدات النفط يوميا " وكشف المكتب التابع للكونجرس أن ما يصل إلي 300 الف برميل من النفط تختفي يوميا من العراق ، ونقل المكتب ما توصلت إليه وزارة الخارجية الأمريكية من أنه ما بين عشرة وثلاثين في المائة من إنتاج العراق من الوقود المكرر " يذهب إلي السوق السوداء أو يهرب إلي خارج العراق لتحقيق مكاسب " ، وتتفق اللجنة مع التقرير الذي أصدرته لجنة بيكر هاملتون في شهر ديسمبر من العام 2006 والتى قالت فيه إن 500 ألف برميل من نفط العراق تسرق يوميا ، ويشير بعض المراقبين إلي أن تقدير اللجنة لخسائر العراق من النفط ربما يكون أكبر من ذلك بكثير علي اعتبار أن تقرير مكتب المحاسبة يستند إلي سعر 50 دولارا للبرميل وهو أقل من المستويات الحالية لسعر البرميل والتى تتجاوز ستين دولارا .
إن ما يتعرض له نفط العراق الذي يقدر احتياطيه المؤكد بأكثر من 112 مليار برميل ومثله متوقع ، هو أكبر عملية نهب فى التاريخ وهو جزء من جرائم الولايات المتحدة الكثيرة التى تقوم بها فى العراق .

جرائم حرب

رغم أني لم أقف عند كل أنواع الجرائم التى ارتكبتها أو ترتكبها القوات الأمريكية فى العراق وإنما فقط عند بعضها إلا أن السياسي البريطاني المخضرم توني بن أحد زعماء حزب العمال والمعارض للحرب على العراق ولسياسة بوش وبلير وسبق لي أن استضفته فى برنامجي بلاحدود كما زرته فى بيته في لندن ودار بيني وبينه حوار طويل ، هذا الرجل أرسل خطابا موقعا من ألف شخص من الشخصيات العامة فى بريطانيا رصد فيه 28 خرقا للأتفاقات الدولية الخاصة بجرائم الحرب ارتكبتها القوات الأمريكية والبريطانية فى العراق ، وقالت صحيفة الأنبندنت البريطانية التى أوردت الخبر فى

عددها الصادر فى 18 مارس 2006 أن الخطاب الذي أعده بن قد أرسل إلي البرلمان البريطاني والأمم المتحدة وأن المنظمة الدولية ردت علي بن بأنها تأخذ المخالفات التى سردها فى التقرير والتى وصفت بأنها جرائم حرب باهتمام بالغ ، أما أستاذ القانون الدولي فى جامعة إلينوي البروفيسور فرانسيس بويل والذي حل ضيفا علي برنامجي " بلاحدود " فى حلقة 20 إبريل 2005 ، وتحدث معي فى حوار مطول عن الجرائم والمخالفا ت للقانون الدولي التى تمارسها أمريكا فى العراق ، وحينما سألته عن توصيف ما تقوم الأدارة الأمريكية فى العراق وأبوغريب تحت أي بند يندرج فى أعراف الجرائم الدولية قال بويل :" إن ما تفعله الولايات المتحدة فى قاعدة غوانتاموا في كوبا وسجن أبوغريب في العراق ، ضد رجال من العرب والمسلمين يرقي إلي مصاف الجرائم ضد الأنسانية حسب توصيف القانون الدولي ، ومحكمة الجزاء الدولية ، ولهذا السبب قام كل من الرئيس بوش والسيد جون بولتون تحديدا المرشح لمنصب سفير الولايات المتحدة لدي الأمم المتحدة ، قاما بكل شيء من أجل نسف إقامة محكمة الجزاء الدولية فى روما ، فهم يعلمون أنهم ارتكبوا جرائم حرب ، مثل التعذيب واختفاء المشتبة بهم فى حالات الحرب هي جريمة حرب ، وانتهاك لاتفاقيات جنيف ، لاسيما حينما تتم هذه الأعمال بأسلوب منهجي ومنتشر علي نطاق واسع ، وهذا ما رأيناه فى مع غوانتانامو وأبوغريب ، وهي جريمة ضد الأنسانية وتوصف بأنها أقل درجة من حرب الأبادة ، لكنها مرشحة لكي تكون حرب إبادة ، والملاحظ هنا أن هذه الأنتهاكات الخطيرة تتم ضد رجال مسلمين ملونين ، ولا تتم ضد المسيحيين البيض ، فعندما قام مكفاي قبل حوالي عقد من الآن بتدمير المبني الفيدرالي في أوكلاهوما ، وقامت الولايات المتحدة باعتقال رجال بيض من المسيحيين البروتستانت والكاثوليك لم تعاملهم مثلما تعامل المسلمين الآن حيث يعاملون المسلمين الآن معاملة لاترقي إلي مصاف المعاملة الأنسانية ، أنظر إلي كل الصور التى نشرت عما يحدث فى أبوغريب وغوانتامو تجد أنها تظهر الأمريكيين وكأنهم أصبحوا أمة من الساديين ومن المنحرفين جنسيا ، وهذا سببه أن الرجال الذين نراهم يتعرضون لهذه الأنتهاكات هم من المسلمين ... لقد أعلن بوش أنه يقود حملة صليبية ، وبالتالي تجد القاسم المشترك بين كل الأمم التى تتعرض للأنتهاكات الآن فى العراق وفلسطين وأفغانستان والتهديدات لإيران وليبيا والسودان يجمعها شيء واحد هي أنها ضد المسلمين ، وأن هؤلاء يملكون النفط والغاز فى بلادهم " وفي دراسة مطولة نشرها البروفيسور بويل على موقع " إنفورميشن كليرنج هاوس " على شبكة الأنترنت ونشرتها صحيفة الخليج الأماراتية فى 7 نوفمبر 2005 أكد علي كثير مما قاله في حواره معي وأضاف : " إن العراق أصبح ساحة للولايات المتحدة تمارس فيها جرائم الحرب " ، وقد سرد بويل فى دراسته المعمقة عشرات من التجاوزات التى قامت بها الولايات المتحدة فى العراق بدءا من قرار الحرب فى 19 مارس 2003 وحتى كتابة تقريره الذي نشر فى نوفمبر 2005 ، وكان مما قاله بويل : " فى 19 مارس آذار2003 ، بدأ الرئيس بوش الأبن حربه الأجرامية ضد العراق ، بإصداره أمرا بتوجيه ما سمي بضربة " قطع الرأس " للرئيس العراقي فى انتهاك واضح للأنذار الذي

حدده علانية ومدته 48 ساعة ليك يغادر صدام وأنباؤه العراق ، وقد خرق هذا السلوك الأجرامي قوانين الحرب الدولية العرفية المحددة فى معاهدة جنيف للعام 1907 ، بشأن بدء الحرب ، وهي المعاهدة التى لاتزال الولايات المتحدة طرفا فيها طبقا للفقرات 20 و21 و22 و23 والدليل الميداني للجيش الأمريكي 10/27 /1956 وعلاوة علي ذلك فإن محاولة جورج بوش الأبن اغتيال رئيس العراق ، تعتبر جريمة دولية فى حد ذاتها ، وقد شكلت حرب إدارة بوش الأبن العدوانية على العراق جريمة ضد السلام بالفعل ، طبقا لتعريف هذه الجريمة فى ميثاق نورمبرج 1945 وقرار نورمبرج 1946 ومباديء نورمبرج 1950 والفقرة 498 من الدليل الميداني للجيش الأمريكي 1956/10/27 " وهكذا من البداية إلي النهاية يدلل بويل وفقا للقانون الدولي أن كل ماقامت به أمريكا فى العراق يندرج تحت نطاق جرائم الحرب ، ولذلك فإن ما أوردناه هنا ليس سوي يسر نذير من جرائم الحرب التى ارتكتبها أمريكا في العراق ، ولعل هذا كان له دور كبير في تأجيج نيران المقاومة ضدهم من العراقيين .